مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

براهين سبينوزا الفلسفية والكتابية في إبطال زعم اليهود بأنهم شعب اللّه المختار

د. أحمد البدوي سالم محمد سالم

عضو هيئة التدريس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقليوبية– جامعة الأزهر

DOI: 10.21608/qarts.2025.356046.2161

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٤) العدد (٦٦) يناير ٢٠٢٥

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

براهين سبينوزا الفلسفية والكتابية في إبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة قضية الشعب المختار، مفهومه، أسبابه، تطور مدلوله في أسفار التوراة والتلمود، وأثره في تكوين الشخصية اليهودية، ثم بيان البراهين الفلسفية والكتابية التي استدل بها الفيلسوف باروخ سبينوزا لإبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار، والتي استنتج منها أن اختيار الله لليهود ليس أزليًّا أبديًّا، ولا يرجع إلى حكمتها أو إلى أفضلية خلقية، وإنما كان اختيارًا متعلقًا بنظام اجتماعي وبعون خارجي من الله، ارتبط بفترةٍ زمنيةٍ محددةٍ، وبعهدٍ أخذه الله عليهم، وأنهم عندما خالفوا العهد ووصايا الله، زال عنهم الاختيار المؤقت، ومن ثم ليس لهم أفضلية على الأمم الأخرى، وكان استدلال سبينوزا من المعقول والمنقول في إبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار أحد الأسباب التي جعلتهم ينقمون منه، ويصدرون مرسومًا بحرمانه ولعنه، وقد تميز سبينوزا بأنه أول فيلسوف في عصر الحداثة قام بنقد عقيدة الشعب المختار عند اليهود، وبين أن هبة النبوة لم تكن وقفًا عليهم، وأنه الديكارتي الذي طبق فلسفة ديكارت في مسائل الدين والسياسة، وأنه مؤسس النقد التاريخي للكتاب المقدس.

الكلمات المفتاحية: الشعب المختار، شعب الله المختار، سبينوزا، الأصولية اليهودية، اليهودية الإصلاحية، مدرسة النقد الأعلى.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا رسولِ الله، صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِهِ وأتباعِهِ، ومن سار على هدْيِهِ إلى يومِ الدينِ، وبعد:

فقضية الشعب المختار من القضايا التي لم تغب شمسها عن الشخصية اليهودية قديمًا وحديثًا، ولكي يغلقوا الباب أمام مناقشتهم في ماهية الاختيار وأسبابه قاموا بإلباسها ثياب الأمر الإلهي، بأن الله هو من اختارهم اختيارًا أزليًّا أبديًّا، وأنهم اختاروا الرب كاختيار متبادل، واستدلوا على ذلك بأدلة كتابية لترسيخ تلك العقيدة في قلوب أتباعهم، كما أصلوها في التلمود، ونقلوا أقوال الحاخامات التي تضخم وتعلي من قدر اليهودي وتنتقص بل وتحتقر غير اليهودي، حتى أنزلوهم منزلة الحيوانات، ولا غرابة أن يطلقوا على غير اليهود لقب الأمميين والوثنيين، وفي فترة العصور الوسطى بعدما سقطت الأندلس قامت محاكم التفتيش بتهجير اليهود، أو إرغامهم على الدخول في المسيحية الكاثوليكية، أو قتلهم، فأطلق اليهود على تلك الفترة "فترة الشتات الثاني"، ومنهم من هاجر إلى شمال أوروبا فرارًا بدينه، مثل عائلة سبينوزا التي نزلت بأمستردام، ومنهم من ارتحل إلى بلاد العرب لينعموا بحياة الحرية والتسامح والتعايش التي كانوا ينعمون بها في بلاد الأندلس دون إقصاء أو تمييز حتى ارتقوا إلى أعلى المناصب، فكان هذا من أهم أسباب هروبهم من محاكم التفتيش إلى بلاد المسلمين، ومنهم من تحول إلى المسيحية الكاثوليكية قسرًا، ومنهم من افتضح أمره فقتل، وبعد اكتشاف أمريكا سرعان ما هاجر إليها اليهود وأطلقوا عليها أمستردام الجديدة، وأنشأوا مركز الشعب المختار، لخدمة الجالية اليهودية، والذي أصبح حديثًا أحد الكيانات التي تروج لتلك العقيدة، وسرعان ما انتشرت فروعه ليقدم خدماتٍ اجتماعيَّةٍ وتوعويَّةٍ وتواصليَّةٍ مع الكنائس المسيحية في أمريكا.

وقد كان لعقيدة الشعب المختار أثرٌ كبيرٌ في تأجيج العنصرية والنفث في نيران تضخيم الذات واستعلائها، حتى اشتعلت المعارك الفكرية والتي تحولت إلى معارك دامية باسم الجنس السامي والآري في ألمانيا انتهت بإنشاء الجيتو والهولوكست، وتخريب ممتلكات اليهود والاعتداء عليهم، وتحجيم أنشطتهم وتواجدهم والتضييق عليهم بعدم جواز استخراج رخصة القيادة وامتلاك جهاز الراديو، وتكليفهم بلبس الشارات التي تدل على هويتهم اليهودية، ووضع علامة حرف (J) في جواز السفر للتعريف بالهوية اليهودية لحامله، ولم تخل المقررات الدراسية في دولة الاحتلال الإسرائيلية من تربية النشء على عقيدة الشعب المختار؛ لتخرج أجيالًا قد فخخت عقولها بكراهية الآخر والانتقاص منه، والتي سرعان ما تترجم إلى الاعتداء على الفلسطينيين العزل.

والأغرب أنهم عدوا كراهية الشعوب لهم أحد أدلة الاختيار، كما عدوا عصيانهم لوصايا الله أحد الأدلة على اختيارهم، وفي أوقات الاضطهاد والنكبات التي حلّت بهم قديمًا وحديثًا، كانت عقيدة "الاختيار" مصدر تصبر اليهود لتحمل الأذى، ونقطة توحدهم؛ لأنه دليلٌ على اختيارهم وانتخابهم من قبل الإله، وأنَّ الاختيار هو السبب في بقائهم!

وعندما تسبَّبت عقيدة الشعب المختار في كراهية الشعوب لليهود والتضييق عليهم، واتهامهم بالعنصرية قام اليهود الإصلاحيُّون باستخدام التقية، وتأويل معنى الاختيار، وحذف المعنى الحرفي، وكان الحاخام مردخاي كابلان – وهو من أكابر الإصلاحيين– قد أراد من ذلك الدفع باليهودية للانخراط في المجتمع الأمريكي؛ لتحقيق أهداف اليهودية العالمية، ولا أدل على ذلك من استقرار رأي الحاخامات اليهود الأمريكيين بأن اليهودية في أيديولوجيتها أعم وأشمل من الدين اليهودي[١]، بينما تمسَّك اليهود

(١) يقول برنارد فيلسنثال: "اليهودية والدين اليهودي ليسا مصطلحين مترادفين. أما "اليهودية" فهي أكثر شمولًا من "الدين اليهودي"؛ لأن "الدين اليهودي" ليس سوى جزء من "اليهودية"، فاليهودية هي مركبٌ من الأفكار والمشاعر والجهود التي تمَّ جمعُها للشعب اليهودي، وبعبارةٍ أخرى، اليهودية

الأصوليون وتبعهم جلُّ اليهود بعقيدة الشعب المختار؛ لأنه لو تم التنازل عنها لم يبق لليهودية وجودٌ.

وقد قام الفيلسوف باروخ سبينوزا بمناقشة قضية الشعب المختار، وبرهن بالأدلة الفلسفيَّة العقليَّة والكتابيَّة من نصوص التوراة أنَّ اختيار الله لليهود ليس أزليًّا ولم يبق له أثرٌ يدعوا لأبديته، وإنَّما هو مرتبطٌ بفترة زمنية محددة وبعهدٍ أخذه الله عليهم، وأنهم عندما خالفوا ذلك العهد ونقضوا الميثاق، لم يبق لهم اختيار ولا أفضلية، وكان هذا أحد أهم الأسباب التي جعلت اليهود ينقمون من سبينوزا ويقومون بلعنه، بعدما فشلت محاولات إغرائه بالمال ليعدل عن آرائه، لكنه عندما أبى ورفض المساومات قاموا بإصدار مرسومٍ بحرمانه وطرده من الجالية اليهودية في أمستردام، وتحريم مجالسته أو قراءة مؤلفاته، وكان سبينوزا فيلسوفًا حرًّا تلقى هذه القرارات بصدرٍ رحبٍ، وعكف على استكمال مسيرته الفلسفية، وقد تعرَّض لمحاولة اغتيالٍ للانتقام منه، وكان يحتفظ بالثياب الذي كان يرتديه في تلك الواقعة وعليه مزق السكين؛ ليتذكر أن الفكر ليس شيئًا محبوبًا عند الناس.

لقد كان سينوزا الذي توفي سنة ١٦٧٧ فيلسوفًا مستشرفًا للمستقبل، وأنه بنقده وإبطاله زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار كأنه كاشف الغيب، فكان ذا رؤية فلسفية ثاقبة تمكنت من وصف مشكلة أوردت اليهود المهالك في العصر الحديث، في إعلائهم نعرات العنصرية والتميز العرقي على سائر الأجناس والأعراق.

ومما يميز فلسفة سبينوزا أنَّها قائمةٌ على العقل، واستخدام المنطق وتطبيقاته في مناقشة القضايا، واستخلاص النتائج من مقدماتها، واستحق أن يلقب بـ "فيلسوف

هي مجموع كلِّ مظاهر الروح القومية اليهودية المميزة، "فالدين اليهوديّ، عندئذ ليس سوى جزء من اليهودية". Bernard Felsenthal, in Teacher in Israel, by Emma Felsenthal, New York, 1924, p. 212.

الفلاسفة"، ويقرب من هذا قول هيجل عنه: "لن تكون فيلسوفًا إلا إذا درست فلسفة سبينوزا"[٢]، وسبينوزا هو أول فيلسوف يهودي ناقش مسألة الاختيار مناقشة فلسفيّة، وبيَّن زيف اليهود في زعمهم بأنهم شعب الله المختار، وشيّد براهينه مستخدمًا الأدلة العقلية الفلسفة، كما أنه استدل على بطلان زعمهم بأنهم الشعب المختار بأدلة نقلية كتابية من أسفار العهد القديم؛ ليثبت أن استدلال اليهود على أزلية وأبدية الاختيار ليس حقيقة دينية، وإنما هو في حقيقته مستمدٌّ من ظروفٍ خاصةٍ ولفترة محددةٍ في تاريخ إسرائيل القديم، ولا يجوز إطلاقه أو الحكم بسريانه على مدى الزمان والآجال.

وحق أن يوصف سبينوزا بأنه "الديكارتي الوحيد الذي استطاع أن يُطبِّق المنهج الديكارتي تطبيقًا جذريًّا في المجالات التي استبعدها ديكارت من منهجه، خاصةً في مجال الدين"[٣]، كما أنه طبَّق منهج الأفكار الواضحة والمُتميزة في ميدان الدين والعقائد، وإذا وصف ديكارت بأنَّ موقفه من رجال الدين كان موقفًا ذكيًّا، اتخذه لمهادنتهم، وحتى يقوم باحتوائهم من الداخل، من دون أن يصطدم بهم أو بالسلطة، ولكن يكفيه أنه وضع قنبلة فكرية موقوتة قام سبينوزا بتفجيرها في العصر الحديث، فيما أثاره من قضايا شائكة أرَّقت مضاجع الحاخامات، وتناثرت شظاياها في جميع الأوساط الفكرية الأوروبية طولًا وعرضًا[٤]، ومن ثمَّ عُدَّ سبينوزا بأنه أوَّل من شيَّد مدارس النقد الأعلى في أوروبا.

- **أسباب اختيار الموضوع وأهميته:**

من أسباب اختيار الموضوع:

---

(٢) زقزوق، محمود حمدي (الدكتور)، دراسات في الفلسفة الحديثة، صـ ١٢٨.

(٣) حنفي، حسن (الدكتور)، مقدمة ترجمة كتاب رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٠، ١١.

(٤) السابق ذاته.

١- أن قضية الشعب المختار التي يزعمها اليهود قضية قديمة متجددة، وهي من أهم أيديولوجيات الكيان الإسرائيلي.

٢- أن إسرائيل تبث من خلال مناهجها الدراسية تربية الأطفال اليهود على الاعتقاد بأنهم الشعب المختار.

٣- أن موضوع الدراسة يتعلق بالأمن القومي المصري والعربي والعالمي؛ لأن قضية الشعب المختار تعكس أيدولوجيات الكيان الإسرائيلي وأفكاره ومعتقداته في تعاملاته مع الآخر.

٤- أنَّ الدراسة تعد ممارسة عملية للدراسات البينية، والتي تربط بين عدة تخصصات مثل: الفلسفة الحديثة، والدراسات اليهودية، والتاريخ اليهودي القديم والوسيط والمعاصر.

٥- كما تأتي أهمية الدراسة أنها تسلط الضوء على النقد الذاتي لليهودية، وتبرز رفض عقيدة الشعب المختار عند اليهود من خلال أحد أهم الفلاسفة في العصر الحديث "سبينوزا".

- **الهدف من البحث:**

الهدف الرئيس للبحث: دراسة البراهين الفلسفية والكتابية التي استدل بها سبينوزا في إبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار.

وتفرّع من ذلك الهدف عدة أهداف فرعية هي:

١- التعريف باسبينوزا: حياته، ومؤلفاته، ومنهجه النقدي الذي دفع الجالية اليهودية إلى طرده وحرمانه، وتحريم مجالسته أو القراءة إليه.

٢- توضيح مفهوم الشعب المختار، والأدلة التي استدل بها اليهود على أنهم شعب الله المختار، وبيان أسباب الاختيار، دراسة تطور مدلوله في أسفار التوراة والتلمود وأثره في تكوين الشخصية اليهودية.

٣- بيان أثر عقيدة الشعب المختار في تكوين الشخصية اليهودية من فترة العصور الوسطى إلى الوقت المعاصر.

٤- دراسة البراهين الفلسفية التي استدل بها سبينوزا في إبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار.

- **مشكلة البحث:**

تتركز المشكلة البحثية في دراسة براهين سبينوزا الفلسفية والكتابية في إبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار.

- **الدراسات السابقة:**

باستقراء قواعد البيانات، وبالبحث في المنصات الإلكترونية والمجلات العلمية، فإنه لا توجد دراسة سابقة عن موضوع البحث "براهين سبينوزا الفلسفية والكتابية في إبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار"، ولكن توجد دراسات أشارت إلى علاقة سبينوزا باليهود، مثل:

١- دراسة ستيفن نادلر: لماذا تم طرد سبينوزا من الكنيس (اليهودي)

Steven Nadler: Why Spinoza Was Excommunicated? HUMANITIES, September/October 2013, Volume 34, Number 5 وقد ذكر نادلر أسباب طرد سبينوزا من الطائفة اليهودية، وذكر منها رفضه لعقيدة الشعب المختار عند اليهود.

٢- دراسة الدكتور فؤاد زكريا، سبينوزا، تتحدث في الفصل الثامن عن سبينوزا واليهودية، وأشار فيه إلى طرد سبينوزا من الطائفة اليهودية.

- **تساؤلات البحث:**

١- ما الأسباب التي دفعت الجالية اليهودية إلى طرد سبينوزا من الطائفة اليهودية في أمستردام؟ وهل كان من أسباب حرمانه وطرده قيامه بنقد اليهود في اعتقادهم بأنهم الشعب المختار؟

٢- ماذا يقصد بالشعب المختار، وبم استدل اليهود على أنهم شعب الله المختار؟ وما هي أسباب الاختيار؟ وكيف تطور مدلوله في أسفار التوراة والتلمود؟ وهل لقضية الاختيار تأثير في تكوين الشخصية اليهودية قديمًا وحديثًا؟

٣- ما البراهين الفلسفية التي استدل بها سبينوزا في إبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار؟

٤- ما الأدلة الكتابية النقلية التي استدل بها سبينوزا في إبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار؟

- **منهج البحث:**

اقتضت ضرورة البحث أن أستخدم المنهج التكاملي؛ وذلك لأنَّ عقيدة الشعب المختار عند اليهود ضاربة بجذورها في التاريخ اليهودي، وكانت محور تشكيل الشخصية اليهودية وساسة اليهود في كل مكان نزلوا به حتى الوقت المعاصر، فكان لزامًا أن استخدم عددًا من المناهج العلمية لبحث الموضوع، منها: المنهج الاسترادادي (التاريخي)، والتحليلي، والمقارن، والنقدي.

- **خطة البحث.**

قمت بترتيب البحثِ في مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وأربعة مباحث، وخاتمةٍ.

أما المقدمة فتحدثت فيها عن أسباب اختيار الموضوع وأهميته، والهدف من البحث، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، وتساؤلات البحث، ومنهجه، وخطة البحث.

أما التمهيد فتحدثت فيه عن سبينوزا حياته، مؤلفاته.

المبحث الأول: الشعب المختار، مفهومه، أسبابه، تطور مدلوله في أسفار التوراة والتلمود، وأثره في تكوين الشخصية اليهودية.

المبحث الثاني: أثر عقيدة الشعب المختار في تكوين الشخصية اليهودية من فترة العصور الوسطى إلى الوقت المعاصر.

المبحث الثالث: براهين سبينوزا الفلسفية في إبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار.

المبحث الرابع: البراهين الكتابية التي استدل بها سبينوزا في إبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار.

ثم التعقيب، والخاتمة وتشتمل على نتائج البحث والتوصيات، وأخيرًا قائمة المصادر والمراجع.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم وأعز وأجل وأحكم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

***

تمهيد

سبينوزا حياته، فلسفته، منهجه النقدي، مؤلفاته

ولد باروخ سبينوزا في أمستردام، في الرابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٦٣٢، لأسرة يهودية من أصول برتغالية، تسببت محاكم التفتيش في إسبانيا في هجرتها إلى شمال أوروبا؛ فرارًا من إكراهها على الدخول في المسيحية، فنشأ سبينوزا في كنف الجالية اليهودية، فتعلم في سن مبكر ودرس العهد القديم والتلمود، واطلع على تعاليم القبالا[٥]، والتي تأثرت بالأفلاطونية المحدثة[٦]، وكان لكتابات موسى بن ميمون[٧] أثرٌ بارزٌ في

---

(٥) القبالا: مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود، والقبالا تعني معرفة الإله، وكشف الأسرار والخفايا، وهذه المعرفة تحتاج إلى رياضة روحية، والإلهام، والتفسير الباطني للأرقام والحروف، ومعرفة دلالاتها وبواطنها، وأطلق عليهم بالعبرية (קבלה) قباله، والقباليون بالعربية. ينظر: كامل، حنان. صفد مركز القباله النظرية والعملية ما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، حوليات آداب عين شمس،٢٠٠٦، ٣٤/ ٤٠٥.

(٦) الأفلاطونية الحديثة: (Neoplatonism) مذهب فلسفي اختلف في نسبته إلى الفلسفة اليونانية أو العصور الوسطى؛ نظرًا لبعد المدة الزمنية بينه وبين الفلسفة اليونانية، ظهر هذا المذهب في الإسكندرية، وسُمِّي بالأفلاطونية الحديثة أو المحدثة؛ لأنه مستمدٌّ من تعاليم أفلاطون، ولكنه لم يحافظ على كثيرٍ من أفكاره الفلسفية، ومؤسس هذا المذهب أمونيوس سكاس Ammonius Saccas، ترك الديانة المسيحية، واعتنق تعاليم اليونانية القديمة، وكان من أوائل المعلمين الذين حاولوا التوفيق بين آراء أرسطو وأفلاطون، مات سنة ٢٤٢م، ويعد أفلوطين من أكبر تلاميذه، وربما عُدَّ مؤسس المذهب، ثم تبع أفلوطين عدد من الفلاسفة الذين أخذوا يعدلون أفكار المذهب ويرتقون به، ومن أشهرهم فورفوريوس ويامبليكوس، وسريانوس، وقد كان من أسباب وجود هذا المذهب انتشار مذهب الشك، وكانت الأفلاطونية المحدثة تميل أول أمرها إلى البحث عن طريق الإلهام، ثم غرق في الإلهامات، ونفذ منها إلى الشغف بالبحث عن المغيبات وخوارق العادات، والسحر، والتصرف بالأسماء والطلاسم والتنجيم والدعوات والعزائم ونحو ذلك. ينظر: محمود، زكي نجيب. و أمين، أحمد. قصة الفلسفة اليونانية، طبعة مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط الأولى، ٢٠١٨، صـ١٩٧.

(٧) موسى بن ميمون القرطبي، بالعبرية: (משה בן מימון) وبالإنجليزية: (Maimonides)

تكوين أفكاره، وتعلم مبادئ اللغة اللاتينية، ثم تعلم الرياضيات والفلسفة المسيحية، كما أنه درس اللغة اليونانية، ولكن لم يصل فيها إلى نفس مستوى اللغة اللاتينية، وعرف اللغة الفرنسية والهولندية، وكان والده يؤهله ليسلك سلك الكهنوت إلا إن سبينوزا وجد نفسه عاجزًا عن قبول اللاهوت اليهودي الأرثوذوكسي "الأصولي"، وقد أدى تمسكه بآرائه الفلسفية التي عارض بها اللاهوت اليهودي إلى حرمانه من الطائفة اليهودية، ولم يكن قد بلغ سن الرابعة والعشرين من عمره(٨)، أما عن موقف سبينوزا من قرار الحرمان: "فلم يعبأ هو ذاته بهذا الطرد، بل بادر إلى تغيير اسمه من صيغته اليهودية "باروخ" إلى مقابله اللاتيني "بندكتوس"، ولم يتراجع عن موقفه هذا إلى النهاية"(٩).

بعد أن انتشرت أقوال سبينوزا الفلسفية، والتي عدها حاخامات اليهود خروجًا سافرًا على ثوابت وتعاليم اليهودية، حاول بعضهم إبعاده عن تلك الأفكار بالترغيب تارة، وبالترهيب تارة، لإثنائه عن تلك الأفكار، ولكن هيهات لفيلسوف مثل سبينوزا أن يرضخ لمساوماتهم، فكانت النتيجة عكسية أدت إلى ازدياد تمسك الفيلسوف بآرائه؛ مما أصاب الحاخامات بخيبة أمل، "وقد تربى هو نفسه في كنف التعاليم اليهودية، ولكنه وجد من

ويعرف بالرمبام، فيلسوف وطبيب يهودي، ولد في قرطبة في بلاد الأندلس في مارس سنة ١١٣٥، وكانت ولادته قبيل عيد الفصح عند اليهود، ويرجع نسبه إلى يهودا جامع أسفار المشنا في القرن الثاني، ثم انتقل مع عائلته إلى بلاد فاس، وتعلم في جامعة القرويين، ثم انتقل إلى مصر، وتولى رئاسة اليهود في مصر، عمل طبيبًا في بلاط الناصر صلاح الدين الأيوبي، توفي بمصر سنة ١٢٠٤، من مؤلفاته: دلالة الحائرين، وتثنية التوراة. ينظر في ترجمته: ولفسون، إسرائيل. موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط الأولى، ١٩٣٦م، صـ١٩- ٥٢.

(٨) ينظر: كوبلستون، فريديريك، تاريخ الفلسفة، طبعة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط الأولى، ٢٠٠٢م، ٤/ ٢٨٢، ٢٨٣.

(٩) زكريا، فؤاد. اسبينوزا، الناشر مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط الأولى، ٢٠١٨م، صـ٢٥١.

المستحيل أن يظل محافظًا عليها، وقد عرض عليه ١٠٠٠ فلورين[١٠] في السنة لحجب شكوكه[١١]، وحين رفض جرت محاولة لاغتياله من طرف أحد اليهود المتعصبين، وظل سبينوزا محتفظًا بردائه الذي كان يرتديه وقت محاولة الاغتيال، وعليه المزق التي خلفها السكين؛ "ليتذكر بشكل أفضل بأن الفكر ليس دائما شيئا محبوبا عند الناس، فإن كان قد سبق في بعض الحالات أن صادفنا فيلسوفًا تنتهي حياته بمحاكمة، فلم يسبق إلا نادرًا أن صادفنا فيلسوفًا يبتدئ حياته بمحاكمة، وبالتعرض لمحاولة اغتيال"[١٢].

"وحين فشلت معه جميع المحاولات قام الحاخامات بلعنه؛ لُعن بجميع اللعنات في سفر التثنية، ويسمى بتثنية الاشتراع"[١٣]، بعدما جمعوا شهودا ممن سمعوا هرطقاته ليشهدوا عليه وواجهوه بهم، فأصبح الجميع مقتنعين بصدق ما يردد عنه من هرطقات.

وفي جلسة المحاكمة التي حضرها كبير الحاخامات صدر مرسومٌ أقره جميع الحاخامات ووافقوا عليه بأن سبينوزا المذكور يجب أن يُحرم كنسيا، وأن يُطرد من شعب إسرائيل، ومما ورد في قرار الحرمان: "بمرسوم من الملائكة وبأمر من القديسين نحرم باروخ دي سبينوزا، ونطرده، ونلعنه، برضا الله، ومباركته، وبموافقة كل المصلين في المقدس، وأمام هذه المخطوطات المقدسة التي تحتوي على (٦١٣) من الوصايا المقدسة؛ مكتوبٌ فيها: يلعن بالحرمان الذي به حرم يشوع أريحا، وباللعنة التي لعنتها إليشع للأولاد[١٤]، وبكل

---

(١٠) عملة أوروبية قديمة، ضربت من الذهب في إيطاليا بداية من سنة ١٢٥٢م، ثم أصبحت عملة التجارة في أوروبا الغربية.

(١١) راسل، برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م، ٣/ ١٠٩.

(١٢) ينظر: دولوز، جيل، سبينوزا فلسفة عملية، ترجمة عادل حدجامي، ط دار توبقال للنشر، المغرب، ط الأولى ٢٠١٥، صـ٩.

(١٣) راسل، برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، ٣/ ١٠٩.

(١٤) نسبة إلى إليشع بن شعفاط، نبي من أنبياء اليهود، حكم مملكة إسرائيل في القرنين التاسع

الانتقادات المكتوبة في سفر الشريعة[١٥] ملعون بالنهار وملعون ليلًا. مَلْعُونٌ إِذْ يَرْبَع وَمِلْعُونَ فِي قَوْمِهِ. ملعونا تكون في دخولك، وملعونا تكون في خروجك. يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر ولم يشفق عليك، بَلْ يدخِّن عَلَيك غَضَبَ الرَّبِّ وَغَيْرَتَهُ وَكُلُّ اللَّعَانَ الَّتِي كُتِبَتْ فِي هَذَا السَّفْرِ عليه، ويمحو الرب اسمه من تحت السماء، ويفصله الرب إلى الشر من جميع أسباط إسرائيل حسب كل لعنات العهد المكتوبة في سفر الناموس هذا، وأما أنتم أيها الملتصقون بالرب إلهكم فأحيا كل واحد منكم اليوم"، وتختتم الوثيقة بالتحذير من أنه "لا ينبغي لأحد أن يتواصل معه بأي طريقة من طرق التواصل

والثامن قبل الميلاد، أحد تلاميذ إيليا النبي، وترجع لعنة أليشع عندما كان في طريقه إلى بيت إيل بعد أن شفى رجال أريحا الأشرار، فخرج الأولاد الصغار من المدينة، واستهزأوا به بسبب صلعه، مرددين: "اصعد يا أقرع، اصعد يا أقرع"، فشتمهم إليشع ولعنهم، فخرج دبان من الغابة وقتلوا اثنين وأربعين طفلاً. وقد وردت القصة في سفر الملوك الثاني: (ثُمَّ صَعِدَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى بَيْتِ إِيلَ، وَفِيمَا هُوَ صَاعِدٌ فِي الطَّرِيقِ إِذَا بِصِبْيَانٍ صِغَارٍ خَرَجُوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَسَخِرُوا مِنْهُ وَقَالُوا لَهُ: اصْعَدْ يَا أَقْرَعُ! اصْعَدْ يَا أَقْرَعُ! فَالْتَفَتَ إِلَى وَرَائِهِ وَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ، فَخَرَجَتْ دُبَّتَانِ مِنَ الْوَعْرِ وَافْتَرَسَتَا مِنْهُمُ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَلَدًا) (الملوك الثاني ٢: ٢٣، ٢٤). والقصة تتنافى مع ما يتحلى به الأنبياء من حلم وصبر وأناة، وكيف بنبي يدعو ويلعن الأطفال ليقتل منهم ٤٢ ولدًا بقتلة بشعة ويمزقون بأنياب الدببة؟!

(١٥) ورد هذا التوعد مفصلًا في سفر التثنية: (وَلكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَحْرِصَ أَنْ تَعْمَلَ بِجَمِيعِ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، تَأْتِي عَلَيْكَ جَمِيعُ هذِهِ اللَّعَنَاتِ وَتُدْرِكُكَ[16] :مَلْعُونًا تَكُونُ فِي الْمَدِينَةِ وَمَلْعُونًا تَكُونُ فِي الْحَقْلِ[17] .مَلْعُونَةً تَكُونُ سَلَّتُكَ وَمِعْجَنُكَ[18] .مَلْعُونَةً تَكُونُ ثَمَرَةُ بَطْنِكَ وَثَمَرَةُ أَرْضِكَ، نِتَاجُ بَقَرِكَ وَإِنَاثُ غَنَمِكَ[19] .مَلْعُونًا تَكُونُ فِي دُخُولِكَ، وَمَلْعُونًا تَكُونُ فِي خُرُوجِكَ[20] .يُرْسِلُ الرَّبُّ عَلَيْكَ اللَّعْنَ وَالاضْطِرَابَ وَالزَّجْرَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ لِتَعْمَلَهُ، حَتَّى تَهْلِكَ وَتَفْنَى سَرِيعًا مِنْ أَجْلِ سُوْءِ أَفْعَالِكَ إِذْ تَرَكْتَنِي...) (تثنية: ٢٨: ١٦-٢١)

ولو عن طريق المكاتبة، ولا يصنع له معروفًا، ولا يبقى معه تحت سقف واحد، ولا يجلس على بعد أربعة أذرع في جواره؛ ولا يقرأ أية رسالة كتبها أو خطها بيده[١٦]".

ويقرر ستيفن نادلر[١٧] بأنَّ هذا أقسى أمر قضائي في الحرمان والحظر صدر على الإطلاق ضد أحد أعضاء الجالية اليهودية البرتغالية في أمستردام، وعلى الرغم من هذا الحرمان الذي جعل اليهود يمقتونه ويحرمونه من الانتماء إليهم، بالإضافة إلى مقت المسيحيين له أيضًا. ويقرر برتراند راسل أن سبينوزا عاش حياة هادئة في أمستردام ثم في لاهاي[١٨]، ولم تصبه لعنات الحاخامات، ولم يصبه شيء مما سلطوه عليه من جام لعنة إليشا التي جعلت الأطفال يمزقون إربا بأنياب إناث الدببة، "لم تهاجم سبينوزا أي أنثى من إناث الدببة، فعاش هادئا وادعًا أولا في أمستردام ثم في لاهاي جانيا رزقه بصقل العدسات، كانت مطالبه قليلة وبسيطة، وأظهر خلال حياته لا مبالاة نادرة بالمال، والقليلون الذين عرفوه أحبوه، حتى ولو كانوا غير راضين عن مبادئه"[١٩].

لقد آثر سبينوزا الالتزام بالعزلة التامة، وكرس حياته للبحث الفلسفي، وعلى الرغم من تلك العزلة ذاعت شهرته، وأصبح يتبادل الرسائل مع الفلاسفة المعاصرين مثل ليبنتز، فقد تقابلا في لاهاي، وكان سبينوزا يأبى أشد الإباء أن يخرجه أحد من عزلته أو أن

---

(١٦) ينظر: ندلر، ستيفن، لماذا تم طرد سبينوزا؟.

Why Spinoza Was Excommunicated? Steven Nadler: HUMANITIES, September/October 2013, Volume 34, Number 5 https://www.neh.gov/article/why-spinoza-was-excommunicated

(١٧) ستيفن إم نادلر: (Steven M. Nadler)، ولد في ١١ نوفمبر ١٩٥٨، أكاديمي وفيلسوف أمريكي متخصص في الفلسفة الحديثة المبكرة، وهو أستاذ أبحاث فيلاس، وأستاذ ماكس وفريدا وينشتاين باسكوم للدراسات اليهودية في جامعة ويسكونسن ماديسون في الفترة من ٢٠٠٤ إلى ٢٠٠٩.

(١٨) لاهاي: مدينة تقع في غرب هولندا.

(١٩) راسل، برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، ٣/ ١٠٩.

يبعده عن التفلسف، فعندما عرض عليه أمير بافاريا كرسي الفلسفة في جامعة هيدلبرج، رفض ذلك العرض في صورة مهذبة، وقد ترتب على ذلك الرفض أن أكبره المفكرون والفلاسفة؛ لأنه أراد به الحفاظ على حرية تفكيره، دون خضوع لأي مؤثر، ومما ورد في اعتذاره: "أعتقد أنني لو تفرَّغتُ لتعليم الشباب فسوف أكفُّ عن ممارسة الفلسفة، وفضلًا عن ذلك فإني لا أدري ما الحدود التي ينبغي لي أن أحصُر فيها حرية التفلسُف حتى لا أبدو راغبًا في الخروج على العقيدة السائدة ... وهكذا ترى أنني لا أُعلل نفسي بالأمل في حظٍّ أفضل، بل إنني سأمتنع عن إلقاء الدروس لسببٍ واحد هو إيثاري السكينة التي أعتقد أنني أستطيع اكتسابها على أفضل وجه بهذه الطريق[٢٠]".

- **الأسباب التي دفعت الجالية اليهودية في أمستردام إلى طرد سبينوزا من اليهودية:**

بالبحث عن الأسباب التي أدت إلى طرد سبينوزا ولعنه، وتحذير اليهود من مجالسته أو مطالعة كتبه، يتضح أنها ترجع إلى عدة أسباب هي:

١- يأتي على رأس تلك الأسباب قيامه بنقد أسفار الكتاب المقدس، وإنكاره أنه يرجع إلى أصل إلهي، وأن الأسفار لم تكتب بواسطة أنبياء الكتاب المقدس، أو بوحي إلهي، "فلا أسفار موسى الخمسة، ولا الكتابات النبوية أو التواريخ كتبها الله أو من قبل أي شخص يوحى إليه من الله؛ فلم يتم كتابتها من قبل الأفراد الذين هم حسب التقاليد، يُزعم أنهم مؤلفوها أو الذين يحملون أسماءها كألقاب (موسى، يشوع، إلخ)، فالكتاب المقدس في الواقع هو مجموعة عشوائية من الكتابات البشرية للغاية، والتي ألفها على مدى فترة طويلة من الزمن مؤلفون مختلفون، وتم تسليم هذه النصوص في نسخة تلو

(٢٠) **راسل، برتراند، حكمة الغرب، ٢/ ٧٢.**

الأخرى عبر القرون، وتم جمعها وتحريرها في النهاية في عمل واحد بواسطة شخص ما في فترة الهيكل الثاني، ويرجح سبينوزا بأنه عزرا"[٢١].

٢- السبب الثاني يرجع إلى فلسفة سبينوزا في تفسير الألوهية، فالإله عند سبينوزا يرى اليهود أنه بعيد كل البعد عن الإله في الديانة اليهودية، خصوصًا في إيمانه بوحدة الوجود، والقول بالوحدة بين الله والطبيعة.

وكان برتراند رسل من المدافعين عن سبينوزا فيما ذهب إليه في التوحيد بين الله والطبيعة، على الرغم من هجوم علماء اللاهوت اليهود على هذا الرأي "لقد كان التوحيد بين الله والطبيعة أمرًا مكروهًا إلى أبعدِ حدٍّ في نظر المُتمسِّكين بحرفية العقيدة في كافة المُعسكرات، ومع ذلك فقد كان مجرَّد نتيجة لبُرهانٍ استنباطي بسيط، وحين نتأمَّل هذا البرهان في ذاته، نجده سليمًا، وإذا كان يؤدي إلى إيذاء شعور البعض فما هذا إلا دليل على أنَّ المنطق ليس مُلتزمًا باحترام مشاعر الناس"[٢٢].

ويترتب على القول بوحدة الوجود من منظور علم اللاهوت الفلسفي لسبينوزا تجريد الله من صفاته، "إن إله سبينوزا لا يصوغ الخطط أو يصدر الأوامر وليس لديه توقعات، أو أن يصدر أحكامًا، ولا يمتلك إلهه أي شيء من الوصف الأخلاقي، فهو ليس إلهه صالحًا ولا حكيمًا ولا عادلًا، ومن الخطأ المقولة التفكير في الله من منظور معياري أو قيمي، فما هو الإله في فلسفة سبينوزا؟ إنه الطبيعة نفسها- مادة الكون اللانهائية، الأبدية، والموجودة بالضرورة، الله أو الطبيعة"[٢٣]، كما يترتب على هذا التفسير أيضًا: نفي الخلق

---

(21) Ibid, Steven Nadler, Why Spinoza Was Excommunicated?

(٢٢) راسل، برتراند، حكمة الغرب، ٢/ ٧٥.

(23) Steven Nadler: Why Spinoza Was Excommunicated?

والقدرة الإلهية، فالطبيعة عنده أزلية أبدية، وهذا يعني أيضًا أن الطبيعة ليس لديها أي إطار غائي – فهي لم تصنع لخدمة أي غرض، ولا توجد من أجل أي غاية[٢٤].

٣- ومن أسباب شنِّ الحرب على أفكار سبينوزا أيضًا قوله باستحالة المعجزات، واستبعاد تحقق خوارق الطبيعة؛ لأنها لو وقعت ستتسبب في انتهاك نظام الكون[٢٥].

٤- السبب الرابع تشكك سبينوزا في خلود النفس، والحياة الأخروية، ولعل هذا مما استقاه من اليهودية التي لا تجعل الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان، وقد أدى مجرد الاعتقاد بخلود النفس، وما يلزمه من الأمور الأخروية المصاحبة لها، فيرى سبينوزا أنها وسيلة لتقوية المشاعر الضارة التي تقوض حياة العقل، ويخصص لهذا قدرًا كبيرًا من الجزء الأخير من كتاب الأخلاق؛ لإظهار أنه بينما يبقى جزء أبدي من العقل البشري بعد وفاة الشخص ويفسرها بأنها المعرفة والأفكار التي اكتسبها في هذه الحياة، يقرر أنه لا يوجد شيء شخصي بخصوصه عندما يموت الإنسان، يقول سبينوزا: "أنت ميت"(٢٦).

٥- السبب الخامس وهو من أشد الأسباب التي جعلت حاخامات اليهود ينقمون من سبينوزا، عندما أعلن بأنه لا يوجد دليل معقول أو منقول من الكتاب المقدس يؤيد

---

(٢٤) ينظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ ١٩١، وما بعدها.

(٢٥) يقول سبينوزا: "لمَّا كان أيُّ شيء لا يكون حقيقيًّا بالضرورة إلَّا بأمر الله، يترتَّب على ذلك بوضوحٍ تامٍّ أن القوانين العامَّة للطبيعة ليست إلَّا مُجرَّد أوامر إلهية تَصدُر عن ضرورة الطبيعة الإلهية وكمالها. وإذن، فلو حدَث شيء في الطبيعة يُناقِض قوانينها العامة، كان هذا الشيء مُناقضًا أيضًا لأمر الله وعقله وطبيعته، وإلَّا فإنَّ المرء لو سَلَّم بأنَّ الله يفعل ما يُناقِض قوانين الطبيعة، لاضطرَّ إلى أن يُسلِّم بأنه يفعل ما يُناقِض طبيعته الخاصة". ولدراسة موقف سبينوزا من المعجزات تفصيلًا؛ ينظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ ٢٢١، وما بعدها.

(26) Steven Nadler: Why Spinoza Was Excommunicated?

دعوى اليهود في قولهم بأزلية وأبدية أنهم "شعب الله المختار"، مما ينفي معه وجود مخصص أو مميز يتمايز به الشعب اليهودي عن غيره من الأمم[٢٧].

ويرى سبينوزا بأن هذا لا يمنع ما تمتع به الإسرائيليون في وقت ما بحياة سياسية واجتماعية جيدة، في مجتمع مستقر آمن، وهي ميزة ونعمة إلهية كانت مرتبطة بالتمسك بوصايا الله، والأخذ بأسباب العمران، وتحقيق الأمن والعيش في رغد تحت سيادة دولة قوية، ولكن عندما ارتفعت تلك الأسباب والمقومات، لم يعد لليهود ميزة يتمسكون بها في اختيار الله ومباركته لهم وتفضيلهم على سائر الأمم، فلا يوجد أي شيء على الإطلاق يمكن لليهود أن ينتحلوه لأنفسهم ليمتازوا به أو ليجعلهم فوق الأمم الأخرى(٢٨).

ولعل هذا أقوى أسباب قيام اليهود بحرمان سبينوزا وطرده من الطائفة، ويؤيده فوير Feuer عندما بحث أسباب توقيع عقوبة "الحرمان" على سبينوزا، فانتهى إلى استبعاد أن تكون تلك الأسباب دينية فقط؛ وذلك لأن الاختلافات في المسائل العقدية والشرعية ليست كفيلة وحدها لتوقيع الطرد والحرمان، ودليل ذلك أن الحاخامات قدموا لاسبينوزا رشوة ليعدل عن موقفه، ولو كانت المسألة محصورة في الخلاف العقدي فقط لما حاولت الطائفة اليهودية في تقديم الرشوة إليه، "لا بد إذن أن الأمر كان متعلقًا بأفعال لا بعقائد، وهو يرى أن السبب الحقيقي لهذا الطرد هو نزعة سبينوزا التحررية في آرائه السياسية الاجتماعية، وهي نزعة تعد خطرًا على الاتجاه المحافظ بين رجال الدين اليهودي، فسبينوزا كان ذا نزعة عالمية، يحتقر فكرة الشعب المختار"[٢٩].

---

(٢٧) وهذا هو موضوع البحث.

(28) Steven Nadler: Why Spinoza Was Excommunicated?

(٢٩) زكريا، فؤاد. اسبينوزا، صـ٢٥٢

مؤلفات سبينوزا:

لم تكن مؤلفات سبينوزا ضخمةً في حجمها مقارنة بالنتاج الفلسفي لأقرانه، إلا إنها استطاعت أن تكشف عن عبقرية جديدة في التفكير الفلسفي، وبطريقة لم تكن معهودة في الأوساط الأوروبية في عصر التنوير مثل استخدام التحليل المنطقي في دراسات الأخلاق، إضافة إلى أنه وضع اللبنات الأولى لمدراس النقد الأعلى في علم اللاهوت، فآراؤه "في الألوهية والدين كانت سابقةً لعصره إلى حدِّ أنه برغم كل جهوده الجادة في التفكير النظري الأخلاقي، قد صُبَّت عليه اللعنات، في عصره وطوال مائة عام بعد ذلك، بوصفه شيطانًا آثمًا، كما أنَّ كتابه الأعظم "الأخلاق" كان في نظر مُعاصريه من الخطورة بحيث لم يمكن نشرُه إلا بعد وفاته [٣٠]".

أما عن مؤلفات سبينوزا فلم ينشر في حياته إلا كتابين، أحدهما أفصح عن تأليفه ودون عليه اسمه، وهو مبادئ الفلسفة الديكارتية، وقد استخدم فيه الطريقة الهندسية كمقدمة تمهيدية للبرهنة عن منهجه الفلسفي، والعمل الثاني الذي نشر غُفلا عام ١٦٧٠ دون أن يذكر اسم المؤلف، وهو "رسالة لاهوتية سياسية"، والتي عدَّها رجال الدين خلاصة الكفر، ثم نشرت مجموعة من مؤلفاته تحت عنوان: المؤلفات المخلفة، نشرت بعد وفاته بفترة وجيزة، اشتملت على "رسالة في إصلاح العقل" "هي بمثابة مقدمة في المنهج وفي قيمة المعرفة، وتشتمل المجموعة أيضًا على كتاب "الأخلاق مبرهنا عليها بالطريقة الهندسية، والذي يعد أكثر أعماله أهمية، ثم عرض فلسفته بإيجاز في "الرسالة الموجزة في الله والإنسان وسعادته" وقد عرفت بالرسالة الموجزة، كتبها لأصدقائه المسيحيين ولم

---

(٣٠) راسل، برتراند، **حكمة الغرب**، ٢/ ٧٢.

تنشر، وقد ضاع الأصل وبقيت ترجمتان هولانديتان نشرتا سنة ١٨٥٢م، وفي أواخر حياته شرع في تدوين الرسالة السياسية لكنه لم يتمها، فنشرت على حالها بعد وفاته[٣١].

توفي سبينوزا في الحادي والعشرين من شهر فبراير عام ١٦٧٧م في لاهاي عن عمر لا يتجاوز الرابعة والأربعين[٣٢].

***

(٣١) ينظر: كوبلستون، فريديريك، تاريخ الفلسفة، ٤/ ٢٨٤، ٢٨٥، وينظر أيضًا: كرم، يوسف (الدكتور)، تاريخ الفلسفة الحديثة، طبعة دار المعارف، القاهرة، ط الخامسة، ١٩٨٦م، صـ ١٠٧.

(٣٢) زقزوق، محمود حمدي (الدكتور) دراسات في الفلسفة الحديثة، ط دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط الأولى، ١٩٨٥م، صـ ١٣١.

المبحث الأول

الشعب المختار، مفهومه، أسبابه، تطور مدلوله في أسفار التوراة والتلمود وأثره في تكوين الشخصية اليهودية

أولًا: مفهوم "الشعب المختار""Chosen People"

يعتقد اليهود أنهم أفضل أمة وأفضل شعب؛ لأنهم ينتمون للأمة اليهودية التي هي شعب الله المختار، أما باقي الأمم والشعوب فإنها تأتي في درجات تالية حتى وإن كانوا من الموحدين، "لقد كان لمفهوم اختيار الرب لبني إسرائيل في اعتقادهم وتمييزه لهم على سائر الشعوب أثره الذي انعكس في تضخيم الذات والاستعلاء على سائر الشعوب"(٣٣)، ومن ثم صارت "فكرة أن اليهود هم شعبٌ اختاره الله هي فكرة مهمة في التقليد اليهودي"(٣٤)، ومن ثم رفعوا هذه الشعارات في تقاليدهم: "أنا المختار" و"الشعب المختار" و"أنا صاحب الفضيلة" 'עם הבחירה', 'העם הנבחר' و'עם סגולה'، والأصل الذي تقوم عليه فكرة الاختيار ويقوم عليه المعنى أنه: "عهد ديني بين الله وبين الشعب اليهودي"، وفي استدلالهم بالعهد القديم، يفسرون الاختيار بأنه

---

(٣٣) عبد الحميد مصطفى، هويدا، الجماعات اليهودية المتطرفة والاتجاهات السياسية الدينية في إسرائيل، ط مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط الأولى، ٢٠١٠، صـ ٣٦.

(٣٤) مورال، جون. وصن، تمارا، أشهر ٥٠ خرافة في الأديان، ط مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط الأولى، ٢٠١٨، صـ ٧٦.

عملٌ من أعمال الله يجعل الشعب المختار– شعب إسرائيل– رسولًا للرب، بينما يصور المدراش[٣٥] أن الاختيار ليس اختيار الله لشعبه، بل اختيار الشعب لإلههم[٣٦]. ومسألة الشعب المختار عند اليهود وثيقة الصلة بأرض المعاد؛ لإيمانهم بأن هذا وعد إلهي خاص لشعب إسرائيل، "وإيمان بعض اليهود بأنهم شعب مختار مقولة أساسية في النسق الديني اليهودي، وتعبير آخر عن الطبقة الحلولية التي تشكلت داخل التركيب الجيولوجي اليهودي وتراكمت فيه، والثالوث الحلولي مُكوَّن من الإله والأرض والشعب، فيحل الإله في الأرض، لتصبح أرضًا مقدَّسة ومركزًا للكون، ويحلّ في الشعب ليصبح شعبًا مختارًا، ومقدَّسًا وأزليًّا"[٣٧].

ويعتقد اليهود أنَّ اختيار الله واصطفاءه لهم يعني أنهم وُضعوا على الأرض لتحقيق هدف معين، وأن هذا اختيار أزلي أبدي، قائم على عهود راسخة منذ عهد الآباء إلى آخر الزمان؛ لذا عدوا النكبات والهزائم التي حلت بهم دليلًا على خلاص الله وتنقيته

---

(٣٥) المدراش: بالعبرية (מדרש): اسم مشتق من الفعل العبري "درش" بمعنى درس، وفحص بدقة تامة، ويعني شروح الحاخامات للكتاب المقدس، وينقسم إلى: مدراش هلخاه، والذي يمثل القوانين العملية لسلوك اليهودي في حياته الدينية والاجتماعية والأخلاقية والسلوكية، بينما أطلق على النوع الثاني مدراش الهاجاداه والذي تناول الأجزاء غير القانونية من الكتاب المقدس، والحديث عن قصص وأمثلة الكتاب المقدس للمساعدة على فهم التوراة المكتوبة، ويستخدم المدراش أيضا لإنتاج شرائع جديدة، سواء من الاقتباس المباشر من الآية أو على أسس الشروح المعقدة، ولتحديث النص وتعزيزه وتفسيره وتبريره. James L. Kugel: The Bible As It Was. Belknap Press/Harvard University Press, 1997, p501. Marcus Jastrow: A Dictionary of the Targumim, Talmud Babli and Talmud Yerushalmi, and the Midrashic literature london, W.C. Luzac.1903. p721

(٣٦) אושרי זיגלבוים، אין אנו כשאר העמים، نحن لسنا الأمم الأخرى، أوشيري زيجلباوم، صـ١٥.

(٣٧) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط دار الشروق، القاهرة، (٥/ ٧٢) ط الأولى، ١٩٩٩، (٥/ ٧٢).

لهم، ودليلهم في ذلك ما لاقوه من شتات في الأرض قديمًا في بابل، وفي العصور الوسطى في الدول الأوروبية بعد سقوط الأندلس، وهو ما يسمى بالشتات الثاني، وما عانوه من شتات في العصر الحديث في الفترة التالية للحرب العالمية الأولى حتى قيام الحرب العالمية الثانية، وما حدث لهم في الهولوكوست ومحارق هتلر فاعتبروا جميع ذلك من أقوى الأدلة على محبة الله واختياره لهم، ومن ثم تعلقت آمالهم على نزول المسيا المخلص، وعندما اندمجت الصهيونية اليهودية واليهودية الإصلاحية مع المسيحية في أمريكا؛ تنازل اليهود عن الاعتقاد في المسيا المخلص إلى الاعتقاد بأنَّ يسوع المسيح هو نفسه المسيا الذي سيتحقق الخلاص على يديه، ومن ثمَّ اتسعت دائرة الشعب المختار.

فمسألة الاختيار من أهم المسائل في اليهودية، وفي تكوين الشخصية اليهودية، بل إنها تفسير لاستراتيجية اليهود في تعاملهم مع الأمم والشعوب الأخرى، وعدها الدكتور هربرت لوي، أستاذ اللغة العبرية في أكسفورد أن اليهودية تقوم على ركنين أساسين هما: وحدانية الله واختيار الله إسرائيل[٣٨].

أدلة اليهود على أنهم الشعب المختار:

استدل اليهود بعدة أدلة على أنهم الشعب المختار، منها:

١- "وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: (اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ، فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً، وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ، وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ[٣٩])".

---

(٣٨) ينظر: شلبي، أحمد (الدكتور)، اليهودية، ط مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١٢، ١٩٩٧، صـ ٢١٨.

(٣٩) (تكوين: ١٢: ١- ٣).

يعتقد اليهود أن فكرة الشعب المختار تضرب بجذورها في التاريخ القديم إلى عصر الآباء، وأنهم استمدوا فكرة الاختيار من اختيار الله لإبراهيم –عليه السلام–.

"دعا الله إبراهيم من إحدى تلك المدن إلى أرض يراها له، لم يكن إبراهيم يعلم مكان تلك الأرض، لقد وثق في توجيهات الله ووعده بأنه سيصبح أمة تحمل حقيقة الإله الواحد الحقيقي إلى العالم، وآمن بالله وتوجه إلى أرض الموعد. كانت هذه بداية الشعب المختار، اختار الله رجلا واحدا، واختاره هذا الرجل(٤٠)".

فقد اعتقد اليهود بأنهم شعب الله اعتمادا على تاريخ الآباء وما ورد فيه من عهود مع الله، وقد عدوا هذا التاريخ فترة من فترات الخلاص، فالعهد الذي قطعه الله مع إبراهيم ثم مع موسى –عليهما السلام– اعتقد اليهود أنه بموجبه قد أصبح يهوه إله إسرائيل، وأصبح إسرائيل شعب الله المختار(٤١).

٢– (أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ)(٤٢) ووجه استدلالهم: " أن التوراة تعلمنا أن يهوه يحبنا كما يحب الأب أبناءه"(٤٣).

---

(40) Article: Is the Jewish people still the chosen people? https://free.messianicbible.com/feature/abraham-chosen-people/ تمت زيارته في ٣٠/ ١١/ ٢٠٢١م

(٤١) ينظر: لجنة مؤتمرات كهنة وسط القاهرة، الفكر المسياني في العهد القديم، ط الأولى، ٢٠٠٨، صـ ٢٩٨.

(٤٢) هكذا وردت في أصل النص العبري: ""בנים אתם לה' אלוקיכם"" بذكر الأبناء في "أنتم أبناء الرب إلهكم"، وفي النسخة العربية وردت بهذا اللفظ "أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ" (تثنية ١٤: ١)، ووردت في تثنية (١: ١٠) "الرب إلهكم".

(٤٣) بلاس، دانيال "דניאל בלס"، لماذا يجب أن يعاني الأشخاص المختارون أكثر من أي شخص آخر؟ מדוע העם הנבחר צריך לסבול יותר מכולם? منشور على موقع https://www.hidabroot.org/article/71871

٣- (لأَنَّكَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، وَقَدِ اخْتَارَكَ الرَّبُّ لِكَيْ تَكُونَ لَهُ شَعْبًا خَاصًّا فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ[٤٤])، ويستدل اليهود بهذه الآية أنهم شعب مختارون على جميع الشعوب.

٤- (أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي مَيَّزَكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ، فَتُمَيِّزُونَ بَيْنَ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَالنَّجِسَةِ، وَبَيْنَ الطُّيُورِ النَّجِسَةِ وَالطَّاهِرَةِ، فَلاَ تُدَنِّسُوا نُفُوسَكُمْ بِالْبَهَائِمِ وَالطُّيُورِ، وَلاَ بِكُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ مِمَّا مَيَّزْتُهُ لَكُمْ لِيَكُونَ نَجِسًا، وَتَكُونُونَ لِي قِدِّيسِينَ لأَنِّي قُدُّوسٌ أَنَا الرَّبُّ، وَقَدْ مَيَّزْتُكُمْ مِنَ الشُّعُوبِ لِتَكُونُوا لِي[٤٥]).

٥- (لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ، إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ[٤٦]).

٦- (لأَنَّ الرَّبَّ قَدِ اخْتَارَ يَعْقُوبَ لِذَاتِهِ، وَإِسْرَائِيلَ لِخَاصَّتِهِ[٤٧]).

٧- (وَأَمَّا أَنْتَ يَا إِسْرَائِيلُ عَبْدِي، يَا يَعْقُوبُ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي[٤٨]).

ويتضح من هذه الأدلة أن اليهود يستدلون على اختيارهم من قبل الله اختيارًا أزليًّا أبديًّا، وأنهم ما زالوا ينعمون بهذا الاختيار إلى قيام الساعة.

ثانيًا: أسباب الاختيار:

يقرر اليهود أن اختيار يهوه لهم له عدة أسباب، منها:

---

(٤٤) (تثنية ١٤: ٢).

(٤٥) (لاويين ٢٠: ٢٤- ٢٦).

(٤٦) (تثنية٧: ٦-٨).

(٤٧) (مزمور ١٣٥: ٤).

(٤٨) (إشعياء ٤١: ٨).

١- أن الاختيار امتداد للعهد الذي أخذه الرب مع إبراهيم، فيعتقدون أن اختيارهم تم منذ فترة الآباء، وأنه تشريف لهم بأنهم النسل الذي باركه يهوه واختاره، فالوعد الذي قطعه يهوه مع إبراهيم جعل اليهود يغالون في تفسيره في التلمود وفي بروتوكولات حكماء صهيون، بما جعلهم يعتقدون أن الفرق بين الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وبين باقي البشر، وقرروا أن لليهود وحدهم الحياة الأبدية، وأن أرواحهم من روح الله دون سائر الشعوب والأمم[٤٩].

٢- أن في الاختيار تخصيص لليهود حتى يكونوا قدوة للشعوب والأمم الأخرى، وأن كلمة يهودي يمكن أن تستخدم للإشارة إلى العبرانيين القدامى باعتبارهم جماعة عرقية أو إثنية (قوم) أو باعتبارهم جماعة دينية (شعب مختار[٥٠])، وبالوصايا التي أخذها الله عليهم وجب عليهم أن يتمسكوا بها، وأن ينفذوا ما أمروا به من تعاليم، وأن يؤدوا ما فرض عليهم من واجبات وما أخذ عليهم من عهود (فَالآنَ إِنْ سَمِعْتُمْ لِصَوْتِي، وَحَفِظْتُمْ عَهْدِي تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ، فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ، وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً، هذِهِ هِيَ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُكَلِّمُ بِهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ[٥١]).

وتضمنت مسؤوليات إسرائيل الحفاظ على الناموس كما ورد في سفر يشوع: (وَإِنَّمَا احْرِصُوا جِدًّا أَنْ تَعْمَلُوا الْوَصِيَّةَ وَالشَّرِيعَةَ الَّتِي أَمَرَكُمْ بِهَا مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ: أَنْ

---

(٤٩) ينظر: شلبي، أحمد (الدكتور)، اليهودية، ط مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١٢، ١٩٩٧، صـ ٢١٨.

(٥٠) ينظر: مديرية الدراسات والتوثيق، الإثنيات العرقيات والطوائف في إسرائيل، طبعة مركز باحث للدراسات، لبنان، د.ت. صـ ١٥.

(٥١) (الخروج ١٦: ٥- ٦).

تُحِبُّوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ، وَتَسِيرُوا فِي كُلِّ طُرُقِهِ، وَتَحْفَظُوا وَصَايَاهُ، وَتَلْصَقُوا بِهِ وَتَعْبُدُوهُ بِكُلِّ قَلْبِكُمْ وَبِكُلِّ نَفْسِكُمْ[٥٢]).

لكنهم خالفوا الوصايا ولم ينفذوا ما أمروا به: (هكَذَا أَلْصَقْتُ بِنَفْسِي كُلَّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَكُلَّ بَيْتِ يَهُوذَا، يَقُولُ الرَّبُّ، لِيَكُونُوا لِي شَعْبًا وَاسْمًا وَفَخْرًا وَمَجْدًا، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا[٥٣]).

فاستحقوا أن يحل عليهم العقاب: (اِسْمَعُوا هذَا الْقَوْلَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، عَلَى كُلِّ الْقَبِيلَةِ الَّتِي أَصْعَدْتُهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ قَائِلًا إِيَّاكُمْ فَقَطْ عَرَفْتُ مِنْ جَمِيعِ قَبَائِلِ الأَرْضِ، لِذلِكَ أُعَاقِبُكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذُنُوبِكُمْ[٥٤]). "يرى اليهود أن الامتياز الذي حصل عليه الشعب اليهودي هو في الوقت ذاته مسؤولية عليهم، وعدم رعايتهم هذه المسئولية بأمانة وصدق جعلهم هدفًا للانتقام"[٥٥].

٣- أن الاختيار كان سببًا لبقاء إسرائيل، وتغلبهم على كراهية وبغض الشعوب لهم، فاليهود يرون أن في بغض الشعوب وكراهيتهم لهم أقوى دليل على أنهم الشعب المختار، وليس هذا بمستغرب على الشخصية اليهودية فهم يعتقدون أن في عزلتهم عن المجتمعات وتقوقعهم على أنفسهم نقطة إيجابية، بينما هذا في ميزان العقل المستقيم يعد نقطة سلبية، كما أنهم يرون أن في بغضهم نقطة تميز، على خلاف ما عليه عقلاء الدنيا، أن النبذ يرجع إلى أخطاء في شخصية المنبوذ جعلته مكروهًا مبغوضًا، يقرر دانيال بلاس في الجواب على سؤال: وماذا كان سيحدث لو لم يكن الله قد جعل الأمم تكرهنا؟ "في سياق الطبيعة، سوف يندمج شعب إسرائيل ويختفي

---

(٥٢) (يشوع ٢٢: ٥).

(٥٣) (إرميا ١١: ١٣).

(٥٤) (عاموس ٣: ١-٢).

(٥٥) شلبي، أحمد (الدكتور)، اليهودية، صـ ٢١٩.

بين العديد من الشعوب عبر التاريخ، إن كراهية الأمم–على الرغم من قوتها– حافظت فعليًا على هويتنا اليهودية وتوراتنا المقدسة لمدة ٣٣٠٠ عام، انفصلنا عن كل الأمم، وبفضل ذلك استطعنا الحفاظ على قدسية أرواحنا، بدون هذه الحقيقة على الأرجح لن تكون أنت ولا أنا يهودًا اليوم"[٥٦].

وفي أوقات الاضطهاد والنكبات التي حلَّت بأمة اليهود، كانت عقيدة "الاختيار" مصدر قوة لتوحد الشعب اليهودي، ومصدر تصبر لتحمل الأذى، ولم لا والاختيار دليل على اختيارهم وانتخابهم من قبل الإله، وقد ساعد في هذا التفسير التلمودي للاختيار – بأن استعداد إسرائيل لقبول وطاعة التوراة كان سبب انتخابهم– ساعد في الحفاظ على الولاء للتقاليد والهلاخاه في فترات التوتر والتحول القسري إلى ديانات أخرى مثلما حدث في فترة الشتات الثاني بعد سقوط الأندلس، وإكراههم على الدخول في المسيحية.

٤–أن سبب الاختيار يرجع إلى قلة عدد اليهود، وهذا السبب يعزى إلى الموسوعة اليهودية، ويستدلون على هذا بالنص الكتابي: (لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ[٥٧])، ويعلِّلون ذلك بأن أي نجاح يمكن أن يحققوه في تعريف العالم بالله من المفترض أن ينعكس على قوة فكرة الله، "لو كان اليهود أمة كبيرة بجيش متميز، كان نجاحهم قد ينسب تعريف الله إلى قوتهم وليس

---

(٥٦) بلاس، دانيال "דניאל בלס"، لماذا يجب أن يعاني الأشخاص المختارون أكثر من أي شخص آخر؟ מדוע העם הנבחר צריך לסבול יותר מכולם? منشور على موقع https://www.hidabroot.org/article/71871

(٥٧) (تثنية ٧: ٧).

إلى حقيقة أفكارهم، بعد كل هذا، لم يتأثر غير المسلمين الذين يعيشون في العالم العربي بالأعداد الكبيرة من الناس الذين اعتنقوا الإسلام بحد السيف"[٥٨].

تعقيب: هذا السبب متهافت من جميع أركانه: أولًا: لأن اليهود لم ينفذوا وصايا الله، ولم يوفوا بالعهد الذي أخذه الله عليهم، فاستحقوا ما حل بهم من عقاب.

ثانيًا: أن سبينوزا قام بنقض الأسباب التي ترجع تمسكهم بتميزهم بناء على قوة أفكارهم، أو بما ظنوا أن تميزهم يرجع إلى أخلاقهم – وسيأتي هذا في المبحث الثالث عند الحديث عن أدلة سبينوزا الفلسفية في إبطال زعمهم بأنهم الشعب المختار.

ثالثًا: أن فكرة الاختيار بناء على اعتقادهم أنهم أقل الأمم عددًا قد أوقعهم في تناقضٍ؛ لاعتقادهم بأنهم سيكون أكثر الأمم عددًا كما ورد في الدليل الكتابي: (أُبَارِكُكَ مُبَارَكَةً، وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ تَكْثِيرًا كَنُجُومِ السَّمَاءِ وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ، وَيَرِثُ نَسْلُكَ بَابَ أَعْدَائِهِ[٥٩]).

رابعًا: أن مقومات قيام الدولة لا يتحقق بالقوة البشرية وحدها، وماذا تفيد القوة البشرية دون علم، أو عند الافتقار إلى القوة الاقتصادية والتجارية ؟!

خامسًا: أن الاحتجاج بأن دخول الناس في الإسلام بأعداد كبيرة يرجع إلى إكراه الناس على الإسلام، وانتشاره بحد السيف، فهذه فريةٌ وكذب صريح، وهي دعوى قديمة متجددة، وكان على اليهود أن يراعوا الأمانة في النقل، وأن يذكروا أنهم عاشوا في بلاد المسلمين بكامل حقوقهم دون إكراهٍ أو تضييق، وأنهم عاشوا مهجَّرين في أوروبا، وقد فرَّ عددٌ منهم بعدما ضاقت عليهم بلاد أوروبا ليفرّوا إلى الدولة العثمانية، وقد ورد النهي عن الإكراه في الدين بنص قرآني: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) (البقرة: ٢٥٦) ومن ثم فإن ادعاء اليهود بأن

(58) Judaism: The "Chosen People". Jewish Virtual Library. https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-quot-chosen-people-quot.

(٥٩) (تكوين ٢٢: ١٧).

الإسلام انتشر بحد السيف معتمدًا على قوة العدد من إلباس الحق بالباطل كما قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: ٧١)، وفتوحات المسلمين تشهد بما كان عليه المسلمون من أخلاق ومبادئ لم تعرفها البلاد المتشدقة بالحريات إلا مؤخرًا بعد أن دفعت ثمن ويلات الاعتداء الغاشم، وقهر المستضعفين العزل من النساء والأطفال والمرضى، وقد سبق الإسلام بأخلاقياته وسلوك أتباعه كل القوانين الدولية؛ ممّا يدلُّ على كذب اليهود في ادعائهم على الإسلام بالانتشار بحدّ السيف.

٥- أن الاختيار ناشئ عن أفضلية عرقية، فيوجد اتجاهٌ صهيونيٌّ يؤمن بأن أساس الهوية اليهودية والشخصية اليهودية هو الانتماء العرقي، ومن الذين أسَّسوا هذه الفكرة موشى هس، مؤسس الصهيونية الاشتراكية، والذي صرَّح بأنَّ أفضلية اليهود واختيارهم ترجع إلى أساس عرقي بيولوجي، وأن العرق اليهودي حافظ على أصالته عبر التاريخ، وأن العرق اليهودي من الأعراق الأصيلة في الجنس البشري، وتنبأ بأن الصراع القادم سيكون على أساس الأجناس، وقد وقع ما تنبأ به، فسرعان ما وقع الأزمة في أوروبا جرَّاء هذه العنصرية البغيضة، عندما اعتز الأوربيُّون بالجنس الآري، للردِّ على اليهود في عنصريتهم وتفضيل جنسهم اليهودي على سائر البشر، وقد دفع الأبرياء الذين سقطوا ضحايا في الحربين العالميتين ليدفعوا ثمن العنصرية البغيضة، وليجنوا ثمار ما غرسوه من كراهية[٦٠].

٦- يعتقد اليهود الإصلاحيُّون أن الله اختار أمة إسرائيل لأن يسوع المسيح سيخرج منهم؛ ليخلص البشرية من الخطيئة، ويستدلون على ذلك بوعد يهوه لإبراهيم كما سبق بيانه

---

(٦٠) ينظر: مديرية الدراسات والتوثيق، الإثنيات العرقيات والطوائف في إسرائيل، طبعة مركز باحث للدراسات، لبنان، د.ت. صـ ١١.

في الدليل الأول من الأدلة الكتابية، وكان مما اعتقدوه أن مجيء يسوع المسيح لتحقيق الخلاص هو السبب الرئيس في اختيار الله لإسرائيل؛ ليكونوا شعبه المميز، فحقيقة أنهم شعب الله المختار تعني أنهم قد تم رفعهم إلى مستوى عالٍ فوق سائر الأمم، وعندما أصبح إسرائيل الشعب المختار لم يكن الخطوة الوحيدة لخلاص البشرية، ولكن هذه الأحداث كانت خطوةً في طريق الخلاص(٦١).

بينما عارض هذا الرأي اليهود الأرثوذوكس، فهم يعتقدون بالمسيا اليهودي المخلص، وهذا سبب خلاف بينهم وبين الطوائف المسيحية، فمع صعود المسيحية، واعتقادهم أنهم هم المختارون لإيمانهم بالمسيح المخلص، فتسبب هذا في وقوع خلاف مع اليهود حول من الأحق بلقب الشعب المختار، فاكتسبت عقيدة إسرائيل كشعب مختار ميزة جدلية إضافية على خلفية مطالبة الكنيسة بأنها "إسرائيل الحقيقية"، وأنهم انتقل إليهم شعب الله المختار؛ مما تسبب في نزاع بينهما حول من الأحق بالاختيار؟!.

ثالثًا: تطور مدلول الاختيار في أسفار التوراة والتلمود.

كان للشريعة الشفهية أكبر أثر في تكوين الشخصية اليهودية؛ لما تمثله من أهمية كبرى كمصدر من مصادر التشريع اليهودي، وتتكون الشريعة الشفهية من التلمود وما يشمله من المشنا والجمارا، وقد كان للشريعة الشفهية النصيب الأوفى في زرع فتنة تعظيم الذات عند اليهود، "فهي تذهب إلى أن الوصايا العشر التي تلقاها موسى تعد وصايا خاصة بالبشرية، جمعاء في حين أن لليهود دون غيرهم من سائر الشعوب عددًا أكبر من الوصايا عددها ستمائة وثلاث عشرة وصية، وإذا كان المجال لا يتسع لسرد كل هذه الوصايا فإنها تتمحور حول ضرورة الإعلاء من شأن الحاخامات

(٦١) ينظر: لجنة مؤتمرات كهنة وسط القاهرة، الفكر المسياني في العهد القديم، صـ ٢٩٨.

ورؤاهم للنص، كما أن هذه الوصايا تحض على ضرورة خضوع الفرد لسلطتهم، وتعمل على تكثيف إحساس المرء بيهوديته، وتفرده وانغلاقه على ذاته، فضلًا عن أنها تحوي في مجملها دون تفاعل اليهودي مع سائر البشر، ويمثل نص المشنا ذروة النتاج الفكري لحاخامات اليهود ومفسريهم؛ إذ إنه يتضمن خلاصة الشريعة الشفهية لليهود"(٦٢).

وقد ورد في التلمود أن علاقة الله بإسرائيل علاقة من نوع خاص، "إن علاقة إسرائيل بالله ليست ملموسة فحسب، بل موضعية أيضًا؛ لأنها تحدث في مكان معين، فما يحدث في هذا المكان (المقدس) له عواقب أكبر مما يحدث في أي مكان آخر؛ لذا فإن هذه العلاقة تقع في مكان ما، وبالتالي فهي ليست طوباوية مثالية؛ لأنه في ملء اللقاء الذي يحدث في المكان المختار، فالعلاقة بين إسرائيل والله لا يمكن أن تحدث في أي مكان بشكل عام، والعلاقة إذن يتخللها المكان الذي تحدث فيه، بما يحدثه ذلك المكان، ومن ثم لا يصلح أي مكان آخر لتلك العلاقة، وهكذا تحدد العلاقة "المستنيرة" اللقاء بين إسرائيل والله ليس فقط في الوقت المناسب والشخص المناسب، ولكن أيضًا في المكان المناسب"(٦٣).

وتتجلى العنصرية في الشريعة الشفيهة في كثير من مواضع التلمود، فقد ذكر الحاخام كوهين أنه يمكن تقسيم سكان العالم إلى قسمين: إسرائيل من جهة، والأمم الأخرى

---

(٦٢) جنزبرج، لويس، قصص اليهود، ترجمة جمال الرفاعي، طبعة المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، ط الأولى، ٢٠٠٢، صـ ١٥.

(63) Jacob Neusner & Tzvee Zahavy: The Jerusalem Talmud: A Translation and Commentary. p 769

مجتمعة من جهة أخرى، فإسرائيل هي الشعب المختار، وهذه عقيدة أساسية[٦٤]، وقد بلغ بهم التعالي في الزعم بأن "كل إسرائيل لها نصيب في العالم"[٦٥].

ويطلق التلمود على غير اليهود لقب "الوثنيين أو الأمميين" גויים، وتأتي تشريعاته لتعلي من شأن اليهودي على غيره من الأمم الأخرى، فترفع من قدر اليهودي لأنه من الشعب المختار، وتضع من قدر غير اليهودي لأنه من الأمميين أو الوثنيين، ومثال ذلك: "إذا ضرب وثني يهوديًّا توجب قتل الوثني"، و"لا يتوجب على اليهودي أن يدفع للوثني أجور عمل"، و"إذا نطح ثور لرجل إسرائيلي ثورًا يخص رجلا كنعانيًّا فإنه لا يدفع أية فدية، وأما إذا نطح ثور الكنعاني ثور الإسرائيلي توجب دفع الفدية بالكامل"[٦٦].

ومثال العنصرية أيضًا ما ورد في التلمود في وصف التعامل مع غير اليهود: "الأمميون يقعون خارج نطاق حماية الشريعة، وما لهم يتحه الله حلالًا لبني إسرائيل"[٦٧] بل إنه يشرع أن اليهودي إذا قتل وثنيًّا لأن اليهودي لا يقتل، وأما ما يحتجنه اليهودي من الجُوي (الأممي) فيمكن له الاحتفاظ به لنفسه[٦٨].

وبحسب التلمود فإن الشعب المختار فقط هو الذي يستحق الحياة الأبدية، أما باقي الشعوب فمثلهم مثل الحمير، ومن تعاليمه أيضًا: أن اليهودي لا ينبغي له أن يمدح المسيحيين ولا يصفهم بالحسن والجمال إلا إذا قصد من مدحه أن يمدحهم كما

---

(٦٤) الحاخام كوهين، التلمود، طبعة بايو، باريس، ١٩٨٦، صـ ١٠٤، نقلًا عن: جارودي، روجيه، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، طبعة دار الشروق، ط الرابعة، ٢٠٠٢، صـ٥٤

(٦٥) السنهدرين، صـ١٠

(٦٦) السنهدرين: ٨ ٥٧. نقلًا عن: إيبيش، أحمد، التلمود كتاب اليهود المقدس، طبعة دار قتيبة، ٢٠٠٦م، صـ٣٩٤

(٦٧) المرجع السابق.

(٦٨) المرجع السابق.

يمدح الإنسان الحيوان، كما أجاز التلمود لليهودي أن يغش الوثني الكافر؛ لأنه يلزم أن تكون طاهرًا مع الطاهرين ودنسًا مع الدنسين[٦٩].

ومما ورد في تعاليم التلمود في تقنين التعامل مع غير اليهود: " قبل أعياد الجوييم (غير اليهود) بثلاثة أيام يحرم التعامل معهم لإعارتهم (أشياء) أو للاستعارة منهم، أو لإقراضهم أو الاقتراض منهم، أو لتسديد (الدين لهم) أو للتحصيل منهم، يقول رابي يهودا: يُحصل (الدين) لأن ذلك يحزنه (غير اليهودي)، قالوا له: على الرغم من أن ذلك سيحزنه الآن، فإنه سيفرح بعد حين...يقول رابى إسماعيل: يحرم التعامل مع الجوييم ثلاثة أيام قبل (أعيادهم) وثلاثة أيام بعدها"[٧٠].

فانظر كيف يوصي حاخامات اليهود بالبحث عما يكدر غير اليهود ويؤرق عليهم احتفالهم بأعيادهم، وكم امتلأت قلوبهم حقدًا وحسدًا حتى إنهم ليغتموا إذا شعر غيرهم بالسعادة؟!

ومما ورد في تعاليم التلمود أيضًا: "على اليهودي أن يجتهد في غش الأجانب، بشرط أن لا يكتشف الأخير أنه يغش، حتى لا يضر بالدين، أما بينهم فلا غش، وجاء في التلمود إن الله لا يغفر ذنبًا ليهودي يرد لأجنبي ماله المفقود، وإذا هرب أحد اليهود من دفع دين يطالبه به أجنبي، وأبلغ أحد اليهود عن مكان زميله الهارب، فيلزم على المبلغ أن يدفع لليهودي المبلغ عنه قيمة الضرر الذي لحقه من ذلك البلاغ"[٧١].

ويؤصل التلمود أن اليهود هم اقناء الرب، وأن أرض المعاد اقتناء الرب، وهما من الخمسة أمور التي اقتناها الرب: " خمسة اقتناءات اقتناها القدوس تبارك وتعالى في

---

(٦٩) ينظر: صبري، محمد، التلمود شريعة بني إسرائيل، مكتبة مدبولي، ط الأولى، ٢٠١١م، صـ٣١.

(٧٠) ترجمة متن التلمود (المشنا)، القسم الرابع نزيقين الأضرار، ترجمة د. مصطفى عبد المعبود، طبعة مكتبة النافذة، القاهرة، ط الأولى، ٢٠٠٧م، ٤/ ٢٧٩.

(٧١) صبري، محمد، التلمود شريعة بني إسرائيل، مكتبة مدبولي، ط الأولى، ٢٠١١م، صـ٣٢

عالمه، وهي التوراة اقتناء واحد، والسماء والأرض اقتناء واحد، وإبراهيم اقتناء واحد، وإسرائيل اقتناء واحد، والهيكل اقتناء واحد"[٧٢].

ومما ورد في التلمود في تعظيم وتزكية إسرائيل قول رابي حنانيا بن عقاشيا: "أراد القدوس تبارك وتعالى تزكية إسرائيل؛ لذلك أكثر لهم الشريعة والوصايا، حيث ورد قد سُرَّ الرب من أجل بره أن يُعظم شريعته ويمجدها"[٧٣].

ويعتقد موسى بن ميمون أن اليهودية رسالة عالمية يمكن أن ترتفع إلى ما وراء حدود الناس، وتكون مثالًا أخلاقيًّا وقدوة لجميع الأمم، على الأقل في العصر المسياني، لكن من المهم أن نلاحظ أن العصر المسياني[٧٤]– كما يرى بن ميمون– سيأتي في نهاية فترة عملية يعتقد اليهود أنهم يجب عليهم أن يستمروا في التقدم، وبذل مجهود مضاعف لسبق الأمم الأخرى، والعمل على نشر تعاليم التوراة لإيمانهم أنها تقدم رسالة عالمية، وإذا كان اليهود بالفعل شعبًا مختارًا، فذلك فقط لأنه يجب عليهم الحفاظ على هذه الرسالة ونشرها بين شعوب العالم، وقد ترسخت هذه التعاليم في الصهيونية المعاصرة؛ ليرجح "يفتاح أوفيك" و"البروفيسور مناحيم كيلنر" بأن: "إسرائيل هي الأمة المختارة التي تتلقى تعليمات مباشرة من الله"[٧٥].

---

(٧٢) ترجمة متن التلمود (المشنا)، القسم الرابع نزيقين الأضرار، ٤/ ٣٣٠.

(٧٣) السابق.

(٧٤) العصر المسياني: هو العصر الذي سيظهر فيه المسيا (المخلص اليهودي).

(٧٥) أوفيك، يفتاح. وكيلنر، مناحيم. أخبر الجميع بوجود إله: عالمية الشعب المختار، תגידו לכולם שיש אלוהים: האוניברסליות של העם הנבחר، ١/ ٧/ ٢٠١٤
https://shalem.ac.il/content-channel/universalism-and-particularism-and-leon-roth/

أصل النص المترجم: "ישראל הוא העם הנבחר שמקבל הנחיות ישירות מאלוהים."

ويذكر الحاخام خوسيه بن سيمون أن سبب اختيار الله لإسرائيل يرجع إلى قبولهم التوراة: "قبل أن تقف في سيناء وتقبل توراتي، دُعيت بإسرائيل كما سُميت جميع الدول الأخرى بأسماء محددة... ولكن بعد أن قبلت توراتي في سيناء دُعيت بشعبي"(٧٦).

كما يستدل على تأثر المفكرين المعاصرين من اليهود بما ورد في التلمود وإيمانهم بضرورة إحياء فكرة الشعب المختار لإعادة بعث الدولة اليهودية الصهيونية، ونجد ذلك واضحًا عند يعقوب كابلان، كبير حاخامات فرنسا والترويج لفكرة أن الشعب اليهودي هو "البذرة التي تنبت إنسانية المستقبل"، وقول إيمانويل ليفيناس: اليهود هم السلم الحي الذي يلاقي السماء، وأن إسرائيل تساوي الإنسانية، وقول أحد الحاخامات: "اليهودي أقرب إلى الإنسانية من أي شخص آخر"، ومن ثم يكون "عدو اليهود عدو الإنسانية، وبالتالي فإن قتل اليهود هو كقتل كل البشر، وضرب يهودي هو ضرب الله نفسه"، وهذا مأخوذ حرفيًّا من التلمود "ضرب يهودي مثل صفع وجه الله نفسه"(٧٧)(٧٨) – تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا–.

ولم تكتف الصهيونية اليهودية بنشر تعاليم التلمود في غرس عقيدة الشعب المختار في عقول الشباب فقط، بل إنها قامت بغرس تلك العقيدة أيضًا في عقول النشء الصغير لتكون عقيدة راسخة في أذهانهم، ومثال ذلك: ما ورد في قصة دموع الشيطان "קרע שטן' في إحدى الكتب المدرسية المقررة على الصف السادس الابتدائي: "رب العالمين! انظر من السماء، وانظر من هو مثل شعبك إسرائيل بالفضيلة والأمة المقدسة، لقد أوصيت أن تأكل وتشرب اليوم، وأن تتكاثر في العيد، وليس أكثر من ذلك غير ما وعدنا

(76) See Rabbi Gilbert S. Rosenthal: Some are chosen, all are loved. Tanhuma *Vaera* 1, p.9a.

(٧٧) **السنهدرين ٥٨ ب (סנהדרין ל"ח ב: "לחבוט ליהודי זה כמו להטיח את הקב"ה בפניו").**

(78) Laurent. Guyénot: From Yahweh to Zion: Three Thousand Years of Exile. translated from French by Kevin Barrett. Sifting and Winnowing Books.2018. p 762- 763.

به: "كل الطعام والشراب في التاسع كأن التاسع والعاشر قد تعرضا للتعذيب"؛ وقد أتينا إليكم من الأكل والشرب – مقدسين ومطهرين كملائكة... إذا أمرت أمم العالم أن تأكل وتشرب في يوم ما، في أوقات المساء يتم إلقاؤهم سكارى للإيجار، يتدحرجون في المزاريب وفي الأماكن القذرة، يتلاطمون ويضرب بعضهم بعضًا، يا راعي إسرائيل، انظر إلى ما بين غنم مرعيك وخرافك المقدسة وبين ذئاب أمم العالم: هؤلاء هم الذين يصعدون في الأكل والشرب من مستوى الإنسان إلى مستوى الملاك، والذين يأكلون الأكل، ممتلئون شهوة، ويشربون الخمر، قد نزلوا من مستوى الإنسان، مثل الحيوانات التي نامت[٧٩]".

ويعلق على هذه القصة "جورج لاكوف" و"مارك جونسون"، في كتابهما الموسوم بـ: "استعارات نعيش بها" بأن هذه القصة تعكس الجانب الديني المستمد من تعاليم التلمود وتشريعاته وإبراز تفوق اليهود في اتباعهم الشريعة، وفي صيامهم مقارنة بغيرهم من الأمم الأخرى، وينعكس التقليد الخاص بتناول الطعام والشراب في عشية يوم الغفران، فيميز الشعب اليهودي عن الشعوب الأخرى؛ لأن هذا – تقليد الأكل والشرب– يطهر اليهود ويقربهم من ربهم، في حين أن الشعوب الأخرى تشرب حتى تسكر وتهزي، فيتصرفون بحمق، وفي القصة مقارنة بين اليهود وبين شعوب الأمم الأخرى فاليهود يضربون مثالًا متساميًا في التواضع والروحانية السامية التي تميز اليهود وترقيهم إلى مرتبة الملائكة مقارنة ببربرية شعوب الأمم الأخرى الذين تم تنزيلهم من مرتبة الآدمية إلى مرتبة حيوانات الضواري والوحوش، كما تصف القصة اليهود بأنهم غنمٌ يرعاهم يهوه مقارنة بالأمم الأخرى التي يتم تقديمها على أنها ذئاب مفترسة، وتعكس القصة تفوق اليهود على شعوب الأمم

([٧٩])، ليفين. بنشاس هكوهين. وليبرمان، بنشاس، "دموع الشيطان" طفولتنا: كتاب مدرسي، وكتاب قراءة للصف السادس، القدس ٢٠١٧، صـ١١١.

الأخرى فشتان بين من يصعد من رتبة الإنسان إلى رتبة الملاك، بل يفوق الملاك، وبين من ينزل عن رتبة إنسان إلى رتبة وحش مفترس(٨٠).

وهذا التحليل يحمل كثيرًا من ترجمة تعاليم التلمود إلى الأطفال؛ كي يغرس فيهم أنهم كأبناء الشعب المختار أزكى وأعلى مقامًا في وصفهم كالملائكة ورفعهم فوق صفة الملائكية، وبين الشعوب الأخرى التي انحدرت من صورة الإنسانية إلى صورة الحيوانية، حتى صاروا كالوحوش وحيوانات الضواري، بينما يصورون أنفسهم بأنهم غنم يرعاها الرب ويتكفلها بعنايته، مما يدل على أن الدولة الصهيونية تهدف إلى تنشئة أجيال ترسخ فيهم أفضليتهم على سائر الأمم منذ نعومة أظفارهم، وتربيتهم تربية دينية مستمدة من تعاليم الأسفار والتلمود، والتي تعلو فيها روح العنصرية والتنمر بغير اليهود، حتى يشبوا على عقيدة أنهم أبناء شعب الله المختار، الذي يفوق ويعلو سائر الأمم، فتنمو فيهم روح الكراهية وإضمار الحقد على الشعوب الأخرى، واحتقارهم وتشبيههم بأبشع الصور، وهذا ما يعكس تصرف الشباب اليهودي في تعاملهم الغاشم مع الفلسطينيين العزل، وعدم الاكتراث بقتل النساء والأطفال والاعتداء على المرضى وكبار السن، واستباحة دماء الأبرياء؛ لنشأتهم على مبادئ عدوانية، وتنمر بالأغيار رسخ فيهم الكبر، وأنهم أعلى مقامًا من الأمم الأخرى، وكان على صناع المقررات أن يسخروا جهودهم لرأب الصدع وتربية النشء على مبادئ أخلاقية مستقيمة، تنمي فيهم ثقافة احترام الآخر، بدلًا من شحن العقول بمجامع الخسة والتضليل وإفساد التعليم، وتأجيج خطاب الكراهية.

***

(٨٠) George Lakoff & Mark Johnson: *Metaphors we Live by*, Chicago 1980. אושרי זיגלבוים، אין אנו כשאר העמים، نحن لسنا الأمم الأخرى، أوشيري زيجلباوم، صـ١١

المبحث الثاني

أثر عقيدة الشعب المختار في تكوين الشخصية اليهودية من فترة العصور الوسطى إلى الوقت المعاصر

أولًا: فكرة الشعب المختار في فترة العصور الوسطى.

عاش اليهود حياة رغد أثناء فترة الحكم الإسلامي لبلاد الأندلس، فكانوا ينعمون بكل أسباب المواطنة والتعايش المجتمعي دون عنصرية أو تمييز فتولوا أرقى المناصب وأرفعها، وفتحت لهم المدراس، فكان منهم الأطباء والفلاسفة مثل موسى بن ميمون، ومنهم التجار، ولكن بعدما سقطت الأندلس تبدل حالهم إلى اضطهاد وقتل وممارسات عنصرية، لقبها اليهود بفترة الشتات الثاني، وفي ذلك يقول ول ديورانت: "ما كان لنا أن نتوقع من عهد "الشتات الثاني "أن ينتج أية ثقافة رفيعة بين اليهود. فقد استنزفت طاقتهم المهمة الوحشية التي واجهوها، مهمة البقاء على قيد الحياة. وتعطل التعليم الذي كانوا قد برزوا فيه وأتقنوه نتيجة للتنقل وانعدام الأمن في الحياة "[٨١].

وقد أدى هذا الاضطهاد إلى قتل اليهود وتشريدهم في البلاد الأوروبية، ومنهم من فرض عليه التحول المسيحية قهرًا حتى ينجو بنفسه وماله، ومنهم من قتل، ولم يسلم الفارُّون إلى الدول الأخرى من الاضطهاد، وتوضح ملحمة آل أبرابانيل التقلبات التي تعرض لها دون إسحاق أبرابانيل في لشبونة سنة ١٤٣٧م، وكيف تحول به الحال من وزير للمالية في البرتغال ليهرب إلى إسبانيا، ثم تولى تدبير الشؤون المالية في قشتاله، وكافح لدرء الكارثة التي حلَّت باليهود في سنة ١٤٩٢، فلما أخفق في ذلك، انضم إليهم في خروجهم المخزي المؤسف من إسبانيا، وفي نابلي استخدمته الحكومة، ولكن الغزاة

([٨١]) ديورانت، ول، قصة الحضارة، المجلد السادس، الجزء الخامس، صـ١٦٨.

الفرنسيين قد نهبوا داره، ودمروا مكتبته الحافلة بنفائس الكتب المنتقاة، وأجبروه على الفرار إلى كورفو[٨٢] سنة ١٤٩٥، وهناك كتب: "ما كان ينبغي لأي يهودي أن يكتب في هذه السنوات: إن زوجتي وأولادي وكتبي بعيدة عني، ولقد تركت وحيدًا غريبًا في بلد غريب"[٨٣].

وتحظى الأدبيات اليهودية بالحديث عن تلك الفترة التي عاشها اليهود في فترة الشتات الثاني في البلاد والدول الأوروبية، ففي مقال بعنوان وطن المنفى "מולדת הגלות" كتب إلياهو بيرنباوم[٨٤] אליהו בירנבוים: "تمتلئ عاصمة إسبانيا بالحدائق والنوافير والمقاهي والمتاحف، والتي تخلق معًا شخصيات مدينة نابضة بالحياة وملونة، ومع ذلك، فإن اليهودي الذي يسير في شوارعها لا يستطيع، في رأيي، إلا أن يشعر بظل محاكم التفتيش التي تحوم فوق "بلازا مايور"، الميدان الرئيس، حيث تم تنفيذ عمليات الإعدام لليهود"[٨٥].

---

(٨٢) كورفو: جزيرة يونانية تقع في البحر الأيوني في شمال غرب اليونان بالقرب من سواحل ألبانيا.

(٨٣) ديورانت، ول، قصة الحضارة، المجلد السادس، الجزء الخامس، صـ١٦٩.

(٨٤) إلياهو بيرنباوم: بالعبرية: אליהו בירנבוים، من مواليد ١٩٥٨م، كاتب ورئيس معهد شتراوس أميل لتدريب الحاخامات للجاليات اليهودية في الشتات، وحاخام جمعية شيبي إسرائيل، التي تعمل في البحث عن أحفاد شعب إسرائيل في العالم ورعايتها، شغل منصب كبير الحاخامات في أوروغواي وتورينو.

(٨٥) أصل النص العبري المترجم: "בירת ספרד שופעת גנים, מזרקות, בתי קפה ומוזיאונים, היוצרים יחד תווים של עיר תוססת וצבעונית. אולם יהודי הצועד ברחובותיה לא יכול לדעתי שלא לחוש את זכר צילה של האינקוויזיציה המרחף מעל "פלאזה מאיור", הכיכר הראשית, שבה בוצעו ההוצאות להורג (אוטו דה פה) של היהודים." מולדת הגלות. מחבר: אליהו בירנבוים موقع: https://www.daat.ac.il/he-il/kehilot/yehudi-olami/madrid.htm

تم استرجاعه في ١ ديسمبر ٢٠٢١م.

ويصف إسبانيا بأنها "ليست سوى إسباميا – التي ترمز إلى مكان بعيد، "رجل ينام هنا (في بابل) ويرى حلمًا في إسباميا"[٨٦]، ويذكر –إلياهو بيرنباوم– أن التاريخ اليهودي يتضمن على أرض إسبانيا أكثر الفترات المجيدة والمأساوية التي مرت على الشعب اليهودي، الاضطهاد الديني والعبودية والثأر ومحاكم التفتيش والترحيل"[٨٧].

وفي تلك المأساة والنكبة التي حلت على اليهود في أوروبا لم يجدوا إلا التسلية بالتصبر وأنهم الشعب المختار، مثلما تم في فترة السبي البابلي، أو ما يعرف بالشتات الأول، وبعضهم اتجه إلى تعلم التقاليد السرية القبالا، وتعلم الرموز الخفية للأرقام والحروف، والقراءة العكسية للألفاظ، وتجمع اليهود يغشاهم الحزن والانكسار في حلقات خاصة يجتمعون على البكاء والتقشف يواسي بعضهم بعضًا، ويدعون بمجيء

---

(٨٦) ينظر السابق.

(٨٧) أصل النص العبري المترجم: "ההיסטוריה היהודית על אדמת ספרד כוללת את התקופות המפוארות והטרגיות ביותר שעברו על העם היהודי. רדיפה דתית, עבדות, עלילות דם, אינקוויזיציה". מולדת הגלות. מחבר: אליהו בירנבוים موقع: https://www.daat.ac.il/he-il/kehilot/yehudi-olami/madrid.htm

تم استرجاعه في ١ ديسمبر ٢٠٢١م.

المخلص الذي يخلص شعبه المختار من أحزانه؛ مما جعل البعض ينتحل صفة المخلص التي يبحث عنها اليهود لينقذ الشعب المختار(٨٨) (٨٩)(٩٠).

وبهذا يتضح أن فكرة الشعب المختار أصبح اليهود يرددونها بكثرة في فترة الشتات الثاني بعد سقوط الأندلس، وتهجيرهم واضطهادهم في أوروبا؛ ليعزي بعضهم بعضًا، ويسري عنه ألم الفقد والاضطهاد الذي لاقوه من محاكم التفتيش في أوروبا، ويتضح أيضًا الفارق الشاسع بين عيشهم في حرية وتسامح وأمان في الدولة الإسلامية وبين تبدل أمنهم إلى خوف بعد سقوط الأندلس، وتمزقهم في البلاد هربًا من محاكم التفتيش، ودخول بعضهم قهرًا في المسيحية الكاثوليكية حتى ينجو بنفسه وماله.

---

(٨٨) ينظر: ديورانت، ول، قصة الحضارة، المجلد السادس، الجزء الخامس، صـ١٦٦.

(٨٩) ذكر البروفيسور "يوسف كابلان" في بحثه: "الطائفية والعلمنة في مجتمعات الشتات الإسبانية الغربية في أوائل العصر الحديث: "أن اليهود فروا من اضطهاد محاكم التفتيش الإسبانية إلى الشمال الأوروبي في أمستردام، ومنهم من فر إلى الدولة العثمانية؛ لأنها كانت أكثر أمانًا واستقرارًا، من الأماكن التي قهرتها محاكم التفتيش". ينظر: קונפסיונליזציה וחילון בקהילות הפזורה הספרדית המערבית בעת החדשה

منشور على موقع: https://www.academy.ac.il/SystemFiles/21547.pdf تم استرجاعه في ١/ ١٢/ ٢٠٢١

(٩٠) يذكر ديورانت في هذا المقام: أن اليهود المشتتين في البرتغال عبروا عن قهرهم واضطهادهم في شعر منثور، وأنهم استخدموا لغة برتغالية حزينة؛ ليعبروا بها عما حل بهم، ومثال ذلك قصيدة أوسك " :Usque (عزاء لأحزان إسرائيل) فقد صور فيرارا سنة ١٥٥٣ "تعاقب الانتصارات والكوارث على الشعب اليهودي، وواساه بأنه لا يزال "شعب الله المختار"، فقد عاقبهم الله على آثامهم، وظنوا أن آلامهم طهرتهم، ومهما أوتى الإنسان من قوة رهيبة وحشية، فلن يستطيع أحد أن يخدعهم ويصرفهم عن مصيرهم الإلهي إلى السعادة والمجد، وتراخى اليهود عن الإسهام في حركة العلوم تراخيًا لم يكن منه مناص، بسبب الأحداث والتقلبات التي عاناها الشعب، والتي طال أمدها، ولم يكن التعرض للخطر والفقر وعدم الاستقرار. ديورانت، ول، قصة الحضارة، المجلد السادس، الجزء الخامس، صـ١٧٠.

ثانيًا: أثر عقيدة الاختيار في تكوين الشخصية اليهودية في أمريكا

بدأ التاريخ اليهودي في أمريكا في مدينة نيويورك عام ١٦٥٤ عندما وصل ٢٣ يهوديًا من البرازيل، للبحث عن ملاذ آمن من محاكم التفتيش الإسبانية، وكانت تعرف أمريكا آنذاك بأمستردام الجديدة؛ وذلك لأنها كانت مهجر اليهود الفارين من محاكم التفتيش في إسبانيا والبرتغال، وبحلول عام ١٨١٥ وصل عدد اليهود في أمريكا إلى ٣٠٠٠ يهودي في الولايات المتحدة، وقد ارتفع هذا العدد ليصبح ١٥٠٠٠ بحلول عام ١٨٤٠، وقد أخذ العدد في الارتفاع، ففي عام ١٨٨٠، كان تعداد اليهود في أمريكا ٢٣٠.٠٠٠ ثم نما هذا العدد إلى أكثر من ٥٥٠٠٠٠٠ مع هجرة الجاليات اليهودية من روسيا وأجزاء من أوروبا الشرقية خلال الفترة من ١٨٨٠ إلى منتصف عشرينيات القرن الماضي، وقد سافر حوالي مليوني يهودي عبر المحيط الأطلسي لبدء حياة جديدة فيما أطلق عليها اسم "الأرض الذهبية"، وقد نزل الكثير منهم في مدينة نيويورك واستقروا هناك، وقد بلغ تعداد اليهود في مدينة نيويورك فقط حوالي ٨٠.٠٠٠ سنة ١٨٨٠، وبحلول عام ١٩٢٠، بلغ تعداد اليهود في تلك المدينة ١،٦٥٠،٠٠٠ – أي ما يقرب من ثلث سكان المدينة، ولم تتوقف هجرة اليهود وإقامتهم في تلك المدينة وحدها، فقد أخذوا في الانتشار في الولايات والمدن الأمريكية انتشار النار في الهشيم.

فقد استقبلت الأرض الجديدة "أمريكا" أكثر من مليون يهودي، وذلك في العقد الذي سبق الحرب العالمية الأولى، ليلحقوا بمئات الآلاف الذين سبقوهم واستقروا في تلك البلاد، ثم تتابعت الهجرات والإرساليات والتي قاربت ربع مليون آخر بعد فترة وجيزة، وفي أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من القرن الماضي، بدأ شب أبناء هؤلاء المهاجرين، وبدأوا العمل بجدية من أجل تحقيق مهمة البقاء في وطنهم الجديد أمريكا، ويقرر "أرنولد إم آيسن" "Arnold M. Eisen": أنه تم إحياء فكرة الاختيار لخدمة هذا الجهد أكثر من أي

عقيدة يهودية أخرى، "فتمَّ توظيف عقيدة الشعب المختار لإرساء رابطة بين اليهودية والديمقراطية، ولتحديد دور اليهود في أمريكا – شعب مختار في أرض الله المختارة الجديدة، هذا الجهد لم يسبق له مثيل في التاريخ اليهودي"[٩١].

ويرجع ذلك إلى عدة أسباب:

أولًا: لم يشهد اليهود في أمريكا أي صورة من صور الاضطهاد والقهر مثلما لاقوه في البلاد الأوروبية، ولم تنشأ في أمريكا "غيتوات[٩٢]" لعزل اليهود عن السكان الأصليين مثلما تم معهم في بولندا وألمانيا، فلم يمارس عليهم في الأرض الجديدة أي نوع من أنواع التمييز أو العزلة، ولم يتم منع المهاجرين وأبنائهم من الانتقال السريع من مناطق الاستيطان الأولية إلى مناطق حضرية جديدة، وتولي الوظائف[٩٣].

---

(91) Eisen. Arnold M: The Chosen People In America. A Study in Jewish Religious Ideology. Indiana University Press.1983. P 52

(٩٢) الجيتو والغيتو: الحي اليهودي، الذي يُطلق عليه غالبًا اسم الحي اليهودي، وهو جزء من مدينة يعيش فيها أفراد من مجموعة من الأفراد في صورة أقليات، بسبب الضغوط السياسية أو الاجتماعية أو القانونية أو البيئية أو الاقتصادية، وأغلب إطلاق المصطلح على الأماكن المخصصة لعزل اليهود في تجمعات خاصة، تم استخدام المصطلح في الأصل لوصف الحي اليهودي الفينيسي في البندقية، في إيطاليا، في العصور الوسطى في عام ١٥١٦، لوصف الجزء من المخصص لعزلهم في المدينة حيث كان اليهود مقيدين بالعيش تحت إقامة جبرية في الغيتو، وبالتالي صاروا منعزلين عن الناس وعن الاندماج في المجتمع، وفي القرن الماضي كانت لهم غيتوات في بولندا وألمانيا، وأول غيتو تم إنشاؤه لليهود في العصر الحديث كان في بولندا سنة ١٩٤١م، وكان اختيار الغيتوات عادة ما يتم في الأماكن الأكثر فقرًا أو التي تحظى بأكبر تجمعات لليهود، وكانت تضرب عليها أسوار أو أسلاك شائكة، وفرض حراسات لمنع اليهود من الاختلاط بالناس. ينظر: ياد فاشيم. الغيتو، حول الهولوكوست. تم الاسترجاع في ٢ ديسمبر ٢٠٢١. Ghetto: Webster's Dictionary, Merriam Webster.

(93) Eisen. Arnold M, The Chosen People In America. P26

ثانيًا: أن التشرذم والاضطهاد الذي عاناه اليهود تسبب في إصابتهم بجفوة ورقة في دينهم، فلم يعبأوا بحضور الصلوات في الكنيسة، واتسم اليهود بالتفكك السريع في المجتمع الجديد، وكانت تجمعهم عقيدة الشعب المختار التي كانوا يتصبرون بها في فترة اضطهادهم في جميع أزمنتهم قديمًا وحديثًا(٩٤).

ثالثًا: لم تشهد المجتمعات في أمريكا أي اختلاف أو إقصاء للغرباء، ولم تبد القيم مختلفة بشكل جوهري عن الالتزامات التي يُنظر إليها على أنها "يهودية"؛ مما أدى إلى سرعة اندماج اليهود في المجتمع الجديد وإعادة بعث عقيدة الشعب المختار.

رابعًا: تنوع الطوائف المسيحية في الأرض الجديدة وتعددها، وكانت الجامعة لهم الاعتقاد في المجيء الثاني للمسيح، ودراسة النبوات المتعلقة بمجيئه، وأنه سيكون في أرض أورشليم الأمر الذي جعلها نقطة التقاء أمام اختلاف وتنوع الطوائف والكنائس المسيحية في أمريكا، فكانوا مفتتين أمام اللوبي اليهودي والذي عمل جاهدًا لاستيعاب تلك الطوائف، واحتواء التجارة والصناعة والسيطرة عليها في أمريكا.

خامسًا: سرعة اندماج اليهود مع المسيحيين الأصليين والمهاجرين وتكوين مراكز أصبحت فيما بعد ذات ثقل قوي لدعم عقدية شعب الله المختار، ودليل ذلك وزارة الشعب المختار، Chosen People Ministries والتي تعد من أكبر الكيانات في الولايات المتحدة لدعم ونشر عقيدة الشعب المختار، ودمج اليهودية بالمسيحية، وقد اختاروا رمز الشمعدان السباعي وهو ما يعرف بـ"المينوراه" "מְנוֹרָה" وهو رمز اليهودية القديمة، والشعار الذي اتخذته دولة الاحتلال الإسرائيلي رمزًا لها(٩٥).

---

(94) Ibid.

(٩٥) ينظر: الموقع الرسمي لمركز الشعب المختار على شبكة الانترنت: https://www.chosenpeople.com/our-mission/ministries/ تاريخ الاسترجاع: ٢ ديسمبر ٢٠٢٢م.

يلاحظ أن الصورة على اليمين تشير إلى الشمعدان السباعي "المينوراه"، بينما تشير الصورة التي على اليسار إلى رمز مركز الشعب المختار الأمريكي.

ويعد اليهود الخدمات التي يقدمها مركز الشعب المختار في الولايات المتحدة أنه انعكاس للتاريخ الأكبر للشعب اليهودي في أمريكا، وقد تم تأسيس هذا الكيان في وقت مبكر من هجرة اليهود إلى أمريكا، فقد أسسه الحاخام ليوبولد كوهن سنة ١٨٩٤ في براونزفيل بمدينة بروكلين، ولاية نيويورك الأمريكية، بعدما أعلن اعتقاده بأن يسوع هو المسيح المنتظر، ثم عرف هذا الكيان فيما بعد باسم مهمة "براونزفيل لليهود"، وتألفت جهوده من الكرازة والتبشير، وتقديم خدمات متنوعة للمهاجرين اليهود[٩٦].

وقد شهد المركز عدة توسعات، فتم نقل البعثة من مقرها الرئيس في براونزفيل بمدينة بروكلين إلى ويليامزبرغ، بروكلين، ثم إلى مانهاتن، حيث تغير اسم الكيان إلى المجلس الأمريكي للبعثات لليهود، وفي عام ١٩٨٨ تم تغيير الاسم مرة أخرى إلى خدمات الأشخاص المختارين.

ويهدف هذا الكيان إلى نشر وتقوية ودمج المسيحية باليهودية؛ لتنشأ عقيدة جديدة تجمع بين الاعتقاد بيسوع المخلص وتبشير الشعب اليهودي، وقد انتشر هذا الكيان وكون فروعًا أخرى لخدمة الجاليات اليهودية في الولايات المتحدة، وكندا، وأمريكا الوسطى والجنوبية، وروسيا، وأوروبا وإسرائيل وأستراليا، بالإضافة إلى تكوين فروع داخل الولايات

---

(٩٦) السابق.

المتحدة الأمريكية بجانب تواجدهم في منهاتن وبروكلين، امتدت أذرع الكيان في المناطق التي تضم عددًا كبيرًا من السكان اليهود، مثل شيكاغو وفيلادلفيا وواشنطن العاصمة وجنوب كاليفورنيا وجنوب فلوريدا(٩٧).

ويلاحظ من هذا كم الحشد الذي يستهدفه اليهود من دمج المجتمع الأمريكي المسيحي ليطوع في خدمة عقيدة الشعب المختار، والعمل على دمج وتضافر الجهود مع الطوائف المسيحية، والتخطيط المسبق الضارب بجذوره من وقت مبكر من هجرة اليهود إلى أمريكا، والذي استهدف التوغل في المجتمع الأمريكي والسيطرة عليه لخدمة الكيان الصهيوني، وإحياء بعث الشعب المختار لفكرة مسيطرة على عقلية اليهود أينما حلوا أو ارتحلوا، فلم تغب عن مخيلتهم أبدًا مهما بلغ بهم القهر والاضطهاد، وعلى الرغم مما تعرضوا له من رقة في دينهم بسبب عدم إقامة الشعائر بانتظام لفترات الشتات في أوروبا، إلا إنهم لم تغب عنهم عقيدة الشعب المختار، فالغرض الرئيس خدمة الدولة اليهودية، وبسط نفوذها بدراسة معمقة للمجتمعات، ومعرفة أحوالهم، ونظمهم السياسية والاجتماعية، والبحث عن استراتيجيات للتغول وبسط الأذرع اليهودية في تلك المجتمعات، ويصدق على هذا ما ذكره الملياردير الأمريكي هنري فورد بأن اليهود أينما وجدوا في أي دولة فإنهم يشكلون دولتهم الخاصة التي يشعرون بالولاء والانتماء لها، ولا يتجه ولاؤهم إلى أي دولة أخرى غير يهودية، وليس لدى اليهود أي استعداد للدفاع عن أي دولة أخرى غير دولتهم اليهودية، ولا ينهض اليهود للدفاع عن أي شيء غير أهدافهم التي يحددونها لأنفسهم كأهداف يهودية خالصة، فالعدو المشترك لليهود هم جميع الناس من غير اليهود في كل دول وشعوب العالم غير اليهود(٩٨).

---

(٩٧) السابق.

(٩٨) ينظر: فورد، هنري، اليهودي العالمي، أعد الطبعة الإنجليزية جيرالد. ك، سميث، ترجمة علي الجوهري، ط دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠١، صـ ١٢٧.

ثالثًا: أثر عقيدة الشعب المختار في احتدام الأزمة بين اليهود والألمان إبان الحربين العالميتين.

أدى اشتعال النعرات العنصرية والقومية إلى احتدام الأزمة بين الألمان واليهود إبان الحربين العالميتين، خصوصًا مع سيادة الحكم النازي، (١٩٣٣– ١٩٣٨)، فقد بلغت العنصرية ذروتها في تلك الفترة، وتعالت النداءات إلى ضرورة التخلص من الأعراق الوضيعة، وهي الأعراق التي تسعى إلى هدم الحضارات والثقافات، وأن الذي أدى إلى ذلك هم اليهود، بينما يتسم العرق الآري بالإبداع وصناعة الحضارة والابتكار[٩٩].

وذهب بول دي لاجارد[١٠٠] إلى اتهام اليهود بأن لهم خططًا وأجندات تسعى لهدم القومية، وأنهم يشكلون عبئًا ثقيلًا، وليس لوجودهم مغزى تاريخي، وأن الزيادة في تعدادهم أصبح يهدد القومية الألمانية، وأن تغولهم في مجال التجارة والسيطرة على سوق المال أصبح يعرقل رسالة ألمانيا، ومن ثم عدوا اليهود دخلاء أجانب عن ألمانيا يجب إجلاؤهم وطردهم خارجها، ولم يكن عداء لاجارد لليهود عداء عاديا للأفراد، بل كان عداء لأمة وثنية غريبة تنتمي إلى الجنس السامي قد يعرقل وجودها اتحاد أوربا الوسطى تحت قيادة ألمانيا، ولذا فلا بد من طردهم أو ترحيلهم بالقوة، ثم تعالت الشعارات المنددة بوجود اليهود مثل شعار "اليهود مصيبتنا"[١٠١]، والذي أطلقه المؤرخ الألماني "هاينريش فون تريتشكى"[١٠٢] فلاقت آراؤه قسطًا كبيرًا من القبول والمصداقية بين المواطنين الألمان، كما

---

(٩٩) ينظر: هتلر، أدولف، كفاحي، ترجمة لويس الحاج، د.ت، صـ ١٦٤.

(١٠٠) بول دي لاجارد: ولد في ٢ نوفمبر ١٨٢٨، وتوفي في ٢٢ ديسمبر ١٨٩١، وهو عالم لاهوت ألماني، وفيلسوف وأستاذ جامعي.

(١٠١) ينظر: حسين. ريم رياض، جمعة إبراهيم. باسل، التطرف العرقي وأثره في الحربين العالميتين النازية أنموذجًا، بحث منشور ,Journal of Historical and Cultural Studies Vol.11, No. (2/43), (2020): 192-209

(١٠٢) هاينريش فون تريتشكى: Heinrich von Treitschke، ولد في ١٥ سبتمبر ١٨٣٤م،

ارتفع شعار "عودة إلى الدم والأرض"، فاعتبروا اليهود دمًا غريبًا سيدنس نقاء الجنس الآري إن تم إبقاؤهم على ما وصلوا إليه من تضخم تعدادهم داخل المجتمع الألماني، "وذهب تشامبرلن إلى اعتناق المذهب نفسه في التنديد باليهود وأثر وجودهم الخطير بين ظهراني الشعب الألماني، إذ يصفهم بالدونية والخسة عندما يتعرض لتاريخهم"، ومن ثم صدرت القوانين والتشريعات التي تمنع اليهود من تولي المناصب في ألمانيا(١٠٣)، وتم منعهم من التجنيس أو الزواج من الألمان ومن المتحولين إلى المسيحية، وقد تصاعدت أزمة معاداة اليهود مع الجيش الألماني، حيث منعوا من تولي المناصب في الجيش، وفي عام ١٩١٥ تم اتهام الجنود اليهود بالجبن، ومن ثمَّ اتهامهم بأنهم سبب الهزيمة.

وكان لهتلر دور بالغ في إشعال روح العنصرية ضد اليهود، وسبب ذلك إما بسبب التعاليم التي تلقاها من أحد أساتذته، أو بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي عاشها هتلر في فينا في السنوات السابقة للحرب العالمية الأولى، وقد كان له بالغ الأثر في الألمان خصوصًا بعدما دونه في كتابه كفاحي(١٠٤)، والذي أعلن فيه عداءه الصريح لليهود وضرورة التخلص منهم لأنهم لا يتحلون بالانتماء في البلاد التي نشأوا فيها، ولا يعملون لخدمتها وتحقيق أهدافها واستراتيجياتها، وإنما هدفهم الرئيس هو الانغلاق على الذات، وادعاؤهم أنهم الشعب المختار، وفي ٩ ونوفمبر ١٩٣٨ خرجت مجموعات كبيرة من الألمان، وقاموا بالاعتداء على محلات اليهود وهدمها، وإتلاف ممتلكاتهم، وقد

كان مؤرخًا ألمانيًا وكاتبًا سياسيًّا وعضوًا ليبراليًّا وطنيًّا في الرايخستاغ خلال فترة الإمبراطورية الألمانية، وكان قوميًّا متطرفًا، فضل الاستعمار الألماني وعارض الإمبراطورية البريطانية، كما عارض الكاثوليك والبولنديين واليهود والاشتراكيين داخل ألمانيا. توفي في ٢٨ أبريل ١٨٩٦م.

Charles E. McClelland: The German Historians and England: A Study in Nineteenth-century Views. P.189

(١٠٣) السابق.

(104) Adolf Hitler: My Struggle, translation: Louis Al-Hajj, DTM, DT, p. 164.

أطلق عليها ليلة "الزجاج المكسور"؛ نظرًا لكثرة عدد المحلات التي تم كسرها ونهبها، وقتل فيها قرابة ١٠٠ يهودي، كما نهبت المعابد، لإعلان التفرقة القانونية والاجتماعية بين اليهود والألمان والنمساويين، فحرم اليهود من امتلاك رخصة قيادة السيارات، وتم وضع علامات مميزة في جواز السفر ترمز بحرف (J) للدلالة على هوية صاحبه اليهودية (jüdisch)، وأجبر اليهود الذين لا يملكون أسماء تدل على هويتهم الدينية لإضافة اسم "إسرائيل" للذكور، و"سارة" للإناث، على أسمائهم الأولى، ثم تعاقبت التصعيدات ضدهم، فتم إنشاء الجتو لضمهم في مجتمعات منعزلة، وتم حرمان اليهود من استقلال المواصلات العامة أو امتلاك سيارات أو أجهزة الراديو، حيث طولبوا بتسليمها إلى الشرطة، ثم تأزم الموقف بالتخلص منهم في محارق الهولوكوست سنة ١٩٤١م، والهولوكست كلمة يونانية تعني: "حرق القربان بالكامل"[١٠٥]، وهو ما يعرف بمحرقة اليهود، أو إبادة اليهود، extermination of the Jews ،

---

(١٠٥) "وكانت كلمة "هولوكوست" في الأصل مصطلحًا دينيًّا يهوديًّا يشير إلى القربان الذي يُضحَّى به للرب، وكان هذا القربان لا يُشوى فقط وإنما يُحرق حرقًا كاملًا على المذبح، ولا يُترك أي جزء منه لمن قدَّم القربان أو للكهنة الذين كانوا يتعيشون على القرابين المقدمة للرب؛ ولذلك، كان الهولوكوست يُعَدُّ من أكثر الطقوس قداسة، وكان يُقدَّم تكفيرًا عن جريمة الكبرياء، ومن ناحية أخرى، كان الهولوكوست هو القربان الوحيد الذي يمكن للأغيار أن يُقدِّموه". المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج٥/ صـ١٢٧ وعرفه مركز موارد المحرقة: "الهولوكوست" "(بالعبرية: שואה sho'ah)، يشير إلى التدمير المنهجي ليهود أوروبا على أيدي النازيين خلال الحرب العالمية الثانية، وتأتي كلمة الهولوكوست من الكلمة اليونانية هولوكاستون، وهي ترجمة للكلمة العبرية "أولاه"، خلال العصور التوراتية، وكانت نوعًا من التضحية لله التي تلتهم أو تحترق بالكامل بالنار، ومع مرور الوقت تم استخدام كلمة محرقة للإشارة إلى الذبح أو التدمير على نطاق واسع". Shoah Resource Center, The International School for Holocaust Studies. P1

كان في مقابل تلك النعرات القومية الألمانية نعرات يهودية تنادي بأنهم الشعب المختار، وأن تفضيلهم ليس بحسب الدين، وإنما بسبب العرق، والصفات البيولوجية والتي أججها موسى هس[١٠٦]، ومارتن بوبر[١٠٧]، وقد أكد موسى هس بما لديه من أفكار اشتراكية أن ما يصنع التاريخ هو صراع الطبقات والأعراق، وذهب إلى التأكيد على وجود تمايز بين العرقين السامي والآري، أما بوبر فقد أكد على تمايز اليهود وتميزهم العرقي والبيولوجي خلال الخطب الثلاث التي ألقاها سنة ١٩١١ تحت مسمى "ثلاث خطب يهودية"، ولعل هتلر اطلع على تلك الخطب فتأثر بها؛ مما يجعل نعرات الشعب المختار هي التي أشعلت فتيل الأزمة، وجعلت الألمان يقابلونها بنعرات تفوق الجنس الآري على السامي، وقد أدى هذا إلى ارتفاع شعار "عودة إلى الدم والأرض"[١٠٨]، وقد قابله اليهود بإنشاء منظمات يهودية ضد النازية للدفاع عن حقوق اليهود.

---

(١٠٦) موسى هيس משה הס : ولد في ٢١ يونيو ١٨١٢، وتوفي في ٦ أبريل ١٨٧٥، كان كاتبًا اشتراكيًا ومفكرًا يهوديًا ألمانيًا، وهو أحد مؤسسي الحركة الاشتراكية في أوروبا، وأحد رواد الصهيونية ومؤسس الاشتراكية الصهيونية، بالإضافة إلى نشاطه الاشتراكي مع ماركس وإنجلز ومشاركته في تأسيس أول اشتراكية دولية عام ١٨٦٤م.

(١٠٧) مارتن (مردخاي) بوبر "מרטין (מרדכי) בובר" (٨ فبراير ١٨٧٨، – ١٣ يونيو ١٩٦٥) كان باحثًا وفيلسوفًا نمساويًا يهوديًا وروائيًا ومربيًا، تناولت معظم كتابات بوبر الوعي الديني والعلاقات الشخصية وشؤون المجتمع، كانت أعماله الرئيسية وكانت جل أعماله في جمع وإعادة سرد القصص الحسيدية، وترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية وتطوير "الفلسفة الحوارية"، أسهم بشكل كبير في ممارسة العلوم الإنسانية والاجتماعية، وخاصة في البحث في مجال علم النفس الاجتماعي والفلسفة الاجتماعية والوجودية الدينية.

(١٠٨) حسين. ريم رياض، جمعة ابراهيم. باسل، التطرف العرقي وأثره في الحربين العالميتين النازية أنموذجًا، بحث منشور Journal of Historical and Cultural Studies, Vol.11, No. (2/43), (2020), p 194

وتحت عنوان: "بالدم والعرق سيجعلنا سباقين" ذكرت "كارب الداليا" דליה קרפל: ردًّا على ظاهرة التهكم من اليهود بأن أنوفهم كبيرة تشبه الماعز– للسخرية من تمسكهم بالأصول العرقية والجينات الوراثية–: "في عام ١٩٣٤ أعلن بياليك: "أنا أيضًا، مثل هتلر، أؤمن بقوة فكرة الدم"، عندما يهتم العالم برسم خرائط لملامح وميزات وجهك الفريدة وخطوط شخصيتك، على أساس علمي بيولوجي، فإن آخر شيء تحتاجه هو البحث لإثبات من هو اليهودي ومن ليس بيهودي؟ ما هو تفرد اليهود؟ هل يمكن حتى تعريفها على هذا النحو؟ هل يمتلك عالم الأحياء أو عالم الوراثة أدوات بحث متطورة لتقرير هذه القضية المشحونة؟ كان رفائيل فليك –أستاذ علم الوراثة من الجامعة العبرية– سعيدًا بقبول التحدي الذي خشي منه الكثيرون في الأكاديمية"[١٠٩].

وبعد انتهاء الحرب العالمية سنة ١٩٤٤ هاجر عدد من اليهود الألمان إلى أمريكا وفلسطين، وبقي عدد منهم في ألمانيا، وفي سنة ١٩٥٠ تأسس المجلس المركزي ليهود

---

(١٠٩) النص الأصلي المترجم: בדם ויזע ייכון לנו גזע

"גם אני כמו היטלר, מאמין בכוחו של רעיון הדם", הצהיר ביאליק ב–1934, ולא היה היחיד. רבים מראשי התנועה הציונית, ביקשו לבסס את הקשר בין היהודים לארץ על קיומם של מאפיינים מדעיים. מייצגת היטב את התפיסות האנטישמיות, שרווחו אפילו בנאורה שבמדינות. כשהעולם עוסק במיפוי תווי הפנים וקווי האופי הייחודיים שלך, על בסיס מדעי–ביולוגי, הדבר האחרון שחסר לך הוא מחקר שיוכיח שאתה באמת כזה. מי יהודי ומי לא? מהו ייחודם של היהודים? האם ניתן בכלל להגדיר אותם ככאלה? היש בידי ביולוג או גנטיקאי כלי מחקר מתוחכמים כדי להכריע בסוגיה הטעונה הזו? רפאל פלק, פרופסור לגנטיקה מהאוניברסיטה העברית, דווקא שמח להיענות לאתגר, שרבים באקדמיה חששו ממנו. ينظر: דליה קרפל. בדם ויזע ייכון לנו גזע منشور على موقع–https://www.haaretz.co.il/misc/2006-10-17/ty-article/0000017f-db77-db5a-a57f-db7f5d3a0000 تم استرجاعه في ١/ ١٢/ ٢٠٢١

ألمانيا في مدينة فرانكفورت، ثم انتقل إلى برلين ليتخذ مقرا رئيسا، ويهدف المجلس في مهامه إلى خدمة الجالية اليهودية في ألمانيا ودعمهم ثقافيا ودينيا، وظل اليهود متمسكين بألمانيا تحت الشعار الذي رفعه ماريو ماركوس(١١٠): "يجب ألا نعطي النازيين الفرصة لأن يكون لديهم ألمانيا خالية من اليهود"(١١١). فلم يتخل اليهود عن عقيدة الشعب المختار التي تسببت في أزمتهم مع الألمان، وسرعان ما رجعوا إليها بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وحسب تصريحات البرلمان الألماني حصل ٣٣٠٠٠ إسرائيلي على الجنسية الألمانية سنة ٢٠٠٠، ويقدر المؤتمر اليهودي العالمي عدد اليهود في ألمانيا، بحوالي ١٠٠ ألف شخص في عام ٢٠١٧ في حين أن البعض يضع رقما تقريبيا بـ١٥٠٠٠٠، وتبقى السمة الواحدة للشخصية اليهودية في الاعتقاد بأنهم الشعب المختار، والانزواء وعدم خدمة الدولة التي يحملون جنسيتها، ومثال ذلك ما ذكره هانز ماير– أحد اليهود الألمان–" انا مدرس وكاتب للغة الألمانية، ولكنى لست ولا أستطيع أن أكون ألمانيًا"(١١٢).

ويستدل من هذ أن اليهودي تسيطر عليه فكرة الانزواء، وعدم الاندماج في المجتمع، أو خدمة البلد التي يعيش فيها، فولاؤه الأول والأخير لعقيدة راسخة أنهم الشعب المختار.

رابعًا: موقف اليهود المعاصرين من عقيدة الشعب المختار.

---

(١١٠) رئيس منظمة Maserati Germani "ماسورتي جيرماني"، وهي حركة ألمانية يهودية محافظة.

(١١١) مقال: لماذا يعود أحفاد ضحايا المحرقة النازية للعيش في ألمانيا؟ منشور على موقع BBC https://www.bbc.com/arabic/world-49082017،٢٠١٩ /٧/٢٣

(112) Voir article : Allemands et juifs, Abolitionnisme, Paris, Presses universitaires françaises, 1999

لم يختلف اليهود المعاصرون عن سابقيهم في التمسك بأنهم الشعب المختار، ولمواجهة موجات الاستنكار المتلاحقة لهذا المعتقد، لما رأوا أنه يترتب عليه من عنصرية واستعلاء لجأ اليهود الإصلاحيون ومن وافقهم من الليبراليين إلى تأويل معنى اختيار الله لشعب إسرائيل، بينما تمسك اليهود الأصوليون بحرفية الاختيار والاعتزاز بالهوية اليهودية، وهذا ما سيتضح في النقاط الآتية:

أ- موقف اليهود الإصلاحيون ومن وافقهم من الليبراليين:

ذهب اليهود الإصلاحيون إلى القول بأن اليهودية هي مجموعة من التعاليم العالمية التي قدمت مساهمات كبيرة للحضارة الغربية؛ لذا قاموا بتغيير مصطلح الشعب المختار، فاستبدلوه بـ "المهمة إلى الناس"؛ ليعطي دلالة على تطور جديد لمفهوم الشعب المختار، كما وضعوا مفهوم الرسالة إلى الناس للدلالة على المسؤولية التي وقعت على عاتق إسرائيل للوفاء بالمتطلبات الأخلاقية للعهد الذي أخذه الله عليهم، ونشر التعاليم الأخلاقية للعالم، وفي سبيل إسقاط العنصرية العرقية والطقسية لليهودية، سعى أنصار مفهوم "الرسالة اليهودية للناس" إلى تحويل اليهودية من شعب مختار يلزمه الاستعلاء إلى ثقافة أخلاقية عالمية، ثم لجأوا إلى تأويل معاني الاختيار؛ وذلك لامتصاص غضب الجماهير الغربية لعقيدة اختيار الله لشعب إسرائيل، بالإضافة إلى ضرورة عدم الاصطدام بتمسك المسيحيين الأوروبيين والأمريكيين خلال المواجهات بأنهم أيضًا شعب الله المختار، وأن الاختيار ليس حكرًا على اليهود وحدهم، ومن ثم لجأ اليهود الإصلاحيون إلى حذف ما يتعلق بقضية الاختيار من كتاباتهم ومؤلفاتهم أثناء الحديث عن الحضارة اليهودية؛ تجنبًا لأزمة الخلاف مع الأديان الأخرى حول قضية الاختيار، ومثال ذلك ما

ذكره "مردخاي كابلانMordecai Kaplan[١١٣] " في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه "JUDAISM AS A CIVILIZATION" أنه قام بتغيير فصل "الشعب المختار" فاستبدله بالناس ليتحدث عن اليهود دون التعرض لقضية الشعب المختار، وعلل ذلك التغيير ليناسب ما عليه اليهود الإصلاحيون في أمريكا، ومراعاة لمستقبل اليهودية في أمريكا[١١٤].

وكان الحاخام مردخاي كابلان يهدف إلى الدفع باليهودية للانخراط في المجتمع الأمريكي لتحقيق أهداف اليهودية العالمية، ولا أدل على ذلك من استقرار رأي الحاخامات اليهود الأمريكيين بأن اليهودية في أيديولوجيتها أعم وأشمل من الدين اليهودي[١١٥].

وفي ظل الهجمات الغربية على اليهود واتهامهم بالعنصرية بأنهم الشعب المختار، رغب بعض اليهود في التخلص من الإيمان بالاختيار اليهودي، أو لتأويل معناه حتى يتم

---

(١١٣) مردخاي كابلان Mordecai Kaplan: هو الحاخام مردخاي مناحم كابلان من مواليد ١١ يونيو ١٨٨١–٨ نوفمبر ١٩٨٣، كان حاخامًا أمريكيًا من أصل ليتواني، وكاتبًا، ومعلمًا يهوديًا، وعالمًا لاهوتيًا، وفيلسوفًا ناشطًا، وزعيمًا دينيًا. وقد وصف بأنه "شخصية بارزة" في التاريخ الحديث لليهودية؛ لعمله المؤثر في تكييفها مع المجتمع الحديث، معتبرًا أن اليهودية يجب أن تكون قوة موحدة وخلاقة من خلال التأكيد على الطابع الثقافي والتاريخي للدين وكذلك العقيدة اللاهوتية. Scult, Mel. Communings of the Spirit: The Journals of Mordecai M. Kaplan. Wayne State University Press(May 2002). p. 54-55

(114) Kaplan, Mordecai: Preface to the Second Edition of JUDAISM AS A CIVILIZATION, Published by Thomas Yoseloff, Inc. New York, Thomas Yoseloff, Ltd. London, 1955, p ix

(١١٥) يقول برنارد فيلسنثال: "اليهودية والدين اليهودي ليسا مصطلحين مترادفين. أما "اليهودية" فهي أكثر شمولًا من "الدين اليهودي"؛ لأن "الدين اليهودي" ليس سوى جزء من "اليهودية"، فاليهودية هي مركب من الأفكار والمشاعر والجهود التي تم جمعها للشعب اليهودي، وبعبارة أخرى، اليهودية هي مجموع كل مظاهر الروح القومية اليهودية المميزة، "فالدين اليهودي، عندئذ ليس سوى جزء من اليهودية". **Emma Felsenthal: Bernard Felsenthal, in Teacher in Israel, New York, 1924, p. 212.**

امتصاص غضب المعارضين، وقد قام الحاخام مردخاي كابلان، بأكبر جهد للقيام بذلك، فدعا كابلان إلى إسقاط الاختيار لسببين:

الأول: لتقويض الاتهامات وامتصاص الغضب الأوروبي بعد تورط السابقين في تأجيج نيران العنصرية، ورفض المسيحيين فكرة أن يكون اليهود شعبًا مختارًا، وقد قام جورج برنارد شو بالثورة على تلك العنصرية اليهودية، ونادى بأن فكرة الشعب المختار كانت نموذجًا للأيديولوجيات العنصرية.

ثانيًا: لأنها تتعارض مع التفكير الحديث والمعاصر لرؤية اليهود كشعب مختار من الله. ولعل هذا يلخص مدى دراسة الحاخامات اليهود لاستراتيجية التعامل مع المجتمع الأمريكي، واستخدام التقية لتحقيق الهدف المنشود الذي نص عليه كابلان بقوله: "إن اليهودية كحضارة هي دعوة اليهود الأمريكيين لتلبية الاحتياجات التالية: ١) إعادة تأكيد الشعب اليهودي. ٢) لتنشيط الدين اليهودي. ٣) لتشكيل شبكة من المجتمعات العضوية . ٤) تقوية دولة إسرائيل. ٥) لتعزيز الإبداع الثقافي اليهودي. ٦) التعاون مع المجتمع العام في جميع المساعي من أجل الحرية، ونشر العدل والسلام. وفَّقَ اللهُ شعبًا ليصغي إلى تلك الدعوة"[١١٦].

وذهبت طائفة من اليهود إلى أبعد من ذلك في الإيغال في التقية لجذب المؤيدين من مسيحيي أمريكا، فادّعوا بأن المسيح هو المسيا اليهودي المخلص، كما سبق بيانه عند الحديث عن مركز الشعب المختار الأمريكية؛ لتكون عقيدة الشعب المختار أكثر انتشارًا وسط قطاع عريض من المؤيدين.

وقد آتت هذه الدعوات الإصلاحية ثمارها بعدما نشرت كلية اللاهوت اليهودي في أمريكا مقولتها: "قَلَّما كانت معتقدات يهودية عرضةً لسوء الفهم مثل عقيدة "الشعب

(116) Ibid p.x

المختار"، أدى هذا إلى نوع من التهدئة مع المسيحيين الغربيين والأمريكيين، فتأولوا هذه الفكرة –الشعب المختار–، واعتبروا أن هذا الأمر الذي طالما كان عرضة لسوء الفهم؛ فقام اليهود بتأويل المعنى الذي ظلَّ راسخًا على مدار قرون، حيث ظن المسيحيون أن المقصود بها: "أن اليهود يعتقدون أنهم وحدهم مَن اختارهم الله لاستقبال عطية الوحي الذي يقدم الهداية اللازمة لبلوغ الحياة الأبدية في العالم الآتي[١١٧]".

كما لجأ اليهود الإصلاحيون لتأويل معنى الشعب المختار؛ تجنبًا لدعوات بعض المفكرين المسيحيين الذين قدَّموا تعاليمات دينية تشير إلى أن المسيحيين ورثوا وعود الله بعدما أنكر اليهود أن يسوع هو المسيَّا المخلص، وبالتالي أصبحوا شعب الله المختار، وأنهم صاروا بدلًا لليهود، الذين حق لهم ميراث الملكوت[١١٨].

وقد تنبه لهذه الخدعة كثيرٌ من الساسة والكُتاب الأمريكيين، منهم على سبيل المثال ما نشره معهد دراسات الشرق الأوسط في واشنطن، حيث ذكر "سميث إف جرانت" Smith F Grant في كتابه القيم "إسرائيل الكبرى. كيف يحرك اللوبي الإسرائيلي أمريكا؟" Big Israel. How Israel's Lobby Moves America?، حيث إنه كشف دور اللوبي الإسرائيلي وتأثيره على أمريكا من خلال المنظمات المصاهرة لإسرائيل،"ISRAEL AFFINITY ORGANIZATIONS " فأعلن أن هذه المنظمات غير الربحية (IAOS) هي كيانات تدعم إسرائيل بطرق مشتركة وفريدة من نوعها، وأنهم يشتركون مع اللوبي الإسرائيلي في تكتيكات متعددة، متمثلة في اصطحاب الأمريكيين المؤثرين في رحلات إلى إسرائيل، ودعم حملات الضغط الإعلامي التفاعلية، واستضافة برامج لمناصرة ودعم إسرائيل داخل الحرم الجامعي في إسرائيل، وتبرير سياساتها القمعية

---

(١١٧) مورال، جون. وصن، تمارا، أشهر ٥٠ خرافة في الأديان، ط مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط الأولى، ٢٠١٨، صـ ٧٦.

(١١٨) ينظر: مورال، جون. وصن، تمارا، أشهر ٥٠ خرافة في الأديان، صـ ٧٦، ٧٧.

ضد الفلسطينيين في الخارج، ونشر المؤلفات السياسية والدينية التبشيرية، والدراسات الأكاديمية، بالإضافة إلى نشر المقالات الافتتاحية بشكل استباقي من النخبة وفي مسقط رأسهم، كما أنهم يعقدون المؤتمرات والفاعليات باستمرار من دون توقف، والهدف من وراء ذلك تشكيل السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وقد ارتكبت بعض المنظمات وقادتها أنشطة غير قانونية ألحقت أضرارًا جسيمة بالولايات المتحدة نيابة عن إسرائيل(١١٩).

ب- موقف اليهود الأصوليين المعاصرين من عقيدة الشعب المختار:

على النقيض من اليهودية الإصلاحية التي استخدمت التقية لتأويل معنى الشعب المختار، نجد أن اليهود الأصوليين يعلنون دون شك أو مواربة بأنهم شعب الله المختار، ويجاهرون بذلك، ويردون على المشككين في ذلك، وأن هذا التمايز يرجع إلى العرق والبيولوجيا التي يتمتع بها اليهودي، بل ذهب إلى أبعد من ذلك رفائيل فالك(١٢٠) في كتابه "الصهيونية وبيولوجيا اليهود" Zionism and the Biology of Jews حيث إنه اعتبر اليهود الذين أكرهوا على التخلي عن اليهودية والدخول في المسيحية الكاثوليكية في فترة الاضطهاد الإسباني أن هؤلاء ما زالوا يهودًا بحكم الدم(١٢١).

ويؤيد "رفائيل فالك" بأن الوراثة العرقية اليهودية لها مكانة مقدسة عند اليهود، فعندما طرح سؤال: من هو اليهودي؟ استشهد بمحاجةٍ تمَّت بين قاضيين في سنة ١٩٩٨،

---

(119) Grant F. Smith: BIG ISRAEL. How Israel's Lobby Moves America? Institute for Research: Middle Eastern. Policy, Inc., Washington, D.C 2016. P25

(١٢٠) **Raphael Falk: أستاذ في قسم علم الوراثة وبرنامج التاريخ وفلسفة العلوم الجامعة العبرية في القدس.**

(121) Raphael, Falk: Zionism and the Biology of Jews ،Edited, updated translation of Hebrew version הציונות והביולוגיה של Publishing House, 2006. Springer International Publishing AG 2017 היהודים reslng. P. 7

عندما سأل الصحفي مايكل شيشار قاضيين متقاعدين في المحكمة العليا الإسرائيلية "من هو اليهودي؟" فرد القاضي العلماني "حاييم كوهين": "يجب أن يقدم التعريف كل يهودي لنفسه، فإذا قال شخص عن نفسه إنه يهودي، فهو بالنسبة لي يهودي، تلك هي استقلاليته، ولا يمكن لأحد أن يقرر له أو بدلًا منه ما إذا كان يهوديًا أم لا، فلا حاجة عندئذ للتعريفات فقط، فعارض القاضي المتقاعد الأرثوذكسي (الأصولي) "مناحيم إيلون" هذه الحجة بشكل قاطع، واعتمد على قرار الكنيست بشأن قانون العودة: أن مفهوم اليهودي: "من ولد لأم يهودية، أو تحول، ولا ينتمي إلى ديانة أخرى"، ويقرر بأن هذا هو التعريف القانوني في دولة إسرائيل. وفي رأي –رفائيل فالك– أن هذا القانون هو الأكثر أهمية، وإلا فلا أمة يهودية!" (١٢٢).

وتتمسك الأدبيات اليهودية المعاصرة بأن الشعب المختار هو هبة الله لشعب إسرائيل، وهو في نفس منزلة أرض المعاد، فهما متعلقتان بوعد الله، وفي هذا السياق تذكر إيرا شاركانسكي: "إن قرب أرض الميعاد من النفط الخليجي ومن قناة السويس قد يضيف إلى الاهتمام الدولي، ومع ذلك، فإن مركزيتها –أرض المعاد– في معتقدات المسيحيين والمسلمين، وكذلك اليهود تثير المشاعر الروحية والسياسية، ويضيف إلى الجاذبية أن يلعب الفلسطينيون الآن دور داود أمام جالوت اليهودي"(١٢٣).

وتقرر بأن الاختيار كما ورد في الكتاب المقدس هو اختيار الله لإبراهيم، وأن شعبه سيتم اختياره لأغراض خاصة، ثم تتساءل لماذا العبرانيون– الإسرائيليون– اليهود؟ مع

(122) "The definition of the concept Jew, in this context, is: 'He who was born to a Jewish mother, or converted, and does not belong to another religion'. This is the lawful definition in the State of Israel. And in my view this law is most essential. Otherwise we have no Jewish nation!". Ibid, P. ٩

(123) Sharkansky. Ira: chosen people, promised land, and prophetic tradition. Published 2017 by Routledge 2 Park Square, Milton Park, Abingdon, Oxon OX14 4RN.711 Third Avenue, New York, NY 10017, USA. P15

تغير الاسم في كل فترة من التاريخ التوراتي؟ وقد ركز المعلقون اليهود على أن السبب هو ضعف اليهود، فاستخدمهم الله كدليل للأمم الأخرى(١٢٤).

وتستدل إرا على اختيار الله لشعب إسرائيل بما ورد في سفر التثنية:

"لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، لَيْسَ مِنْ كَوْنِكُمْ أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ، الْتَصَقَ الرَّبُّ بِكُمْ وَاخْتَارَكُمْ، لأَنَّكُمْ أَقَلُّ مِنْ سَائِرِ الشُّعُوبِ .بَلْ مِنْ مَحَبَّةِ الرَّبِّ إِيَّاكُمْ، وَحِفْظِهِ الْقَسَمَ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكُمْ(١٢٥)".

وتعلق إيرا شاركانسكي على هذه الآيات بأنها اشتملت على أسباب الاختيار: أولًا: إما لأن الله اختار بني إسرائيل تعبيرًا عن حبه، ثانيًا: أو لغرض إظهار قوته من خلال حماية شعب كان عددهم ضئيلًا، وتذكر سببًا ثالثًا للنبي عاموس: أن الله اختار اليهود ليبين العقوبة التي يتلقاها الناس على خطاياهم(١٢٦).

ولعلَّ في هذا إشارة لما ورد في مطلع الإصحاح السابع بأن اختيار إسرائيل فيه عقوبة للشعوب السبع(١٢٧) التي خالفت وصية الله، فحقَّ عليهم عذابه باختيار شعب

---

(124) Ibid. p.17

(١٢٥) (تثنية ٧: ٦– ٨).

(126) Sharkansky. Ira: chosen people, promised land, and prophetic tradition. Published 2017 by Routledge, New York, USA. P27

(١٢٧) وردت هذه الشعوب السبع على سبيل الحصر، في أول الإصحاح السابع، ويستدل اليهود على أن الله سلطهم على تلك الشعوب، وأنه هو الذي اختارهم للقضاء عليهم، وأنهم إذا خالفوا ذلك استحقوا أن يحل غضب الله عليهم، فاليهود بمحاربتهم تلك الشعوب يعتقدون أنهم ينفذون أوامر الله ووصاياه، ودليلهم في ذلك: "مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ: الْحِتِّيِّينَ وَالْجِرْجَاشِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، سَبْعَ شُعُوبٍ أَكْثَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ، وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلهُكَ أَمَامَكَ، وَضَرَبْتَهُمْ، فَإِنَّكَ تُحَرِّمُهُمْ. لاَ تَقْطَعْ لَهُمْ عَهْدًا، وَلاَ تُشْفِقْ عَلَيْهِمْ، وَلاَ تُصَاهِرْهُمْ. بِنْتَكَ لاَ تُعْطِ لابْنِهِ، وَبِنْتُهُ لاَ تَأْخُذْ لابْنِكَ.لأَنَّهُ يَرُدُّ ابْنَكَ مِنْ وَرَائِي فَيَعْبُدُ آلِهَةً أُخْرَى، فَيَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ وَيُهْلِكُكُمْ سَرِيعًا. وَلكِنْ هكَذَا تَفْعَلُونَ بِهِمْ: تَهْدِمُونَ مَذَابِحَهُمْ،

إسرائيل وتسليطه عليهم، ويتمسك اليهود بهذا الشاهد أن محبتهم محبةٌ خاصة، وأن الله هو من رفعهم فوق الأمم، وسلطهم عليهم.

بالإضافة إلى أنهم يستغلون الحروب ضدهم للترويج لفكرة أنهم ما حوربوا وما اضطهدوا إلا حقد الأمم عليهم، ولولا أنهم شعب مختار، لما استحقوا هذه الكراهية والبغضاء والعداء من الشعوب الأخرى، ففي عشية حرب عام ١٩٤٨ وبعدما كانوا هم المعتدين على أرض عربية، قاموا بنشر رسالة لتبرر كراهيتهم للعرب ليلبسوها ثياب الدين: "يجب أن نتذكر دائمًا: "القانون أن عيسو يكره يعقوب. الأحمق هو اليهودي، الذي يرى معاملة الأغيار الودودة ويتخيل نفسه أن الأمم تحبه، لن نكون محبوبين أبدًا، إنه قانون فرضه الله على الخليقة، بل أكثر من ذلك أن الأممي يعتقد أنه أقوى منا، فقوته الجسدية أكبر من قوتنا، إنه لا يعرف أن قوته تأتي من ضعفنا الروحي... عندما يقع خوف الأمم علينا، فهذه علامة لنا للتخلص من اللامبالاة، وتقوية أنفسنا من خلال مراقبة الشريعة والقيام بالأعمال الصالحة، وأن نصلي إلى الله أن ينزل غضبه على الأمم الذين يريدون تدمير شعبه المختار، بعبارة أخرى، هناك مبررٌ دينيٌّ للصراع العربي الإسرائيلي، وسيرون أننا شعبٌ فاضلٌ، وسنظهر أننا شعب مختار "[١٢٨].

والسؤال الآن: هل لعقيدة الشعب المختار فائدة عند اليهود المعاصرين؟

والجواب: نعم، إنَّ تحليل رؤية اليهود المعاصرين في تفسيرهم لتلك العقيدة (الشعب المختار) يتبين منها أنها ما زالت تحقق وظيفة مهمة لدعم الدولة اليهودية في الوقت الراهن، وأنها تخدم اليهودية المعاصرة، وهذا ما بينه الحاخام جيلبرت س. روزنتال[١٢٩]

وَتُكَسِّرُونَ أَنْصَابَهُمْ، وَتُقَطِّعُونَ سَوَارِيَهُمْ، وَتُحْرِقُونَ تَمَاثِيلَهُمْ بِالنَّارِ." (تثنية ٧: ١-٥).

(١٢٨) אושרי זיגלבוים، אין אנו כשאר העמים، نحن لسنا مثل الأمم الأخرى، أوشيري زيجلباوم، صـ١١

(١٢٩) تتلخص الجوانب التي ذكرها الحاخام جيلبرت س. روزنتال في عدة نقاط هي:

المدير التنفيذي للمجلس الوطني للمعابد اليهودية، حيث إنه ذكر فائدة تمسك اليهود المعاصرين بعقيدة الشعب المختار، والتي تتلخص في بسط اليهودية سيطرتها وإنفاذ أذرعها للهيمنة على العالم باسم الشعب المختار، وبفحصٍ دقيقٍ لهذه الأسباب يتبن أن اليهود المعاصرين اتخذوا من عقيدة الشعب المختار وسيلة لتنفيذ المخطط الصهيوني

أولًا: يعتقد اليهود أن الاختيار يعرف غير اليهود بالإسهامات التي حققتها اليهودية في الحضارة، فيزعمون أنهم رغم قلتهم يمثلون تاريخا أصيلا للديانتين السماويتين المسيحية والإسلام، وأن اليهودية هي التي أضاءت الطريق للبشرية لتوحيد الله، وأنهم مستمرون في إثراء هذا الكوكب بشكل غير مسبوق من خلال العلماء الحائزين على جوائز نوبل، وهذا دليل على قيمة اليهود في العالم المعاصر.

ثانيًا: أن فكرة الاختيار تجعلهم يستلهمون وتحثهم على السعي لنشر كلمة الله في عالم يعاني من الظلم والقسوة والعنف وسفك الدماء والعنصرية والتعصب الأعمى والاستغلال والحروب وجميع العلل الأخرى التي يصنعها الإنسان المعاصر، وأنهم سيبذلون قصارى جهدهم انطلاقًا من غائية اختيارهم: أنهم سيصنعون "مملكة كهنة وأمة مقدسة"، وسيجمعون الشعوب في شعب واحد مخلوق على صورة الإله.

ثالثًا: أضافت إعادة تلك الفكرة وتزامنت حديثًا مع ميلاد دولة إسرائيل، جعلت اليهود يتنفسون الصعداء بعد سنوات من الشتات والاضطهاد، ويعتقد اليهود أن دولة إسرائيل لعبت دورًا كبيرًا في استحضار تاريخ المملكة اليهودية القديمة، والتي ينبغي أن تسير على خطى راسخة لنشر القيم اليهودية والإنسانية من خلال الدفاع عن الحق والعدل لجميع الشعوب من جميع الأديان والانتماءات العرقية.

رابعًا: ان مفهوم الاختيار يقدم سببًا لوجود اليهود وبقائهم في مجتمع أممي، وأنهم يجب أن يحتملوا ضغوط الوثنية والمسيحية والإسلام من العصور القديمة حتى العصر الحديث، وأن سبب تمسكهم بيهوديتهم يرجع إلى انتخابهم لمهمة عظيمة وهي خدمة البشرية.

خامسًا: أن الإيمان بالشعب المختار يمكن اليهود من التعامل بشكل أفضل مع موضوع المصير الدموي لإسرائيل، باعتبارهم خدمًا للرب، وأن عليهم تحمل الأذى لتحقيق الغرض من اختيارهم، وأنهم مستمرون في بذل المزيد من الدماء والتضحية حتى يحتفظ اليهودي بمكانته في خلق الحضارة، والمحافظة على نسل الآباء.

سادسًا: أن عقيدة الشعب المختار هي حافزٌ دائمٌ لهم حتى يظلوا يهودًا أوفياء مخلصين يعيشون لمناصرة الحق والعدل والأخلاق والمحبة والسلام، وإصلاح العالم الممزق وبناء مجتمع أكثر صحة وأمانًا، وأنهم كمختارين يجب أن يتحملوا المسؤولية التي اختيروا لأجلها.

Rabbi Gilbert S. Rosenthal: Some are chosen, and they are all loved.https://www.bc.edu/content/dam/files/research_sites/cjl/texts/cjrelations/resources/articles/rosenthal.htm

العالمي، الوارد في بروتوكولات حكماء صهيون، وأن الأسباب التي ذكروها أنهم أصحاب رسالة لخدمة البشرية، ونشر السلام والعدل، فهذا تشدقٌ بمصطلحات جوفاء، تكذبها الحقيقة، ونحن نطالبهم ببينة دامغة تثبت صحة دعواهم فيما زعموه، اللهم إلا أنهم لا يتحركون إلا لتحقيق منفعة شخصية، وامتصاص مقدرات الشعوب ومحاربتهم لتحقيق أغراض دنيئة، وأن مخططهم هو السيطرة على العالم، بحجة وصايتهم على الشعوب بأنهم الشعب الذي اختاره الله.

وبهذا يتضح أن اليهود الإصلاحيين ذهبوا إلى ضرورة تأويل معنى الشعب المختار لامتصاص غضب المسيحيين الكاثوليك في المجتمعات الأوروبية والأمريكية، ولكي لا تتسبب تلك الأفكار في التضييق على اليهود في أرض أمريكا، وحتى يحظوا بتعاطف ودعم أكبر قدر من أتباع الطوائف المسيحية، وليظهروا أن اليهودية هي الأساس للمسيحية، وأنها رسالة عالمية، فالفكرة لم تغب عنهم وإنما هو تأويل لتخطي مرحلة لا يودون فيها الصدام مع المجتمعات الأوربية والأمريكية، وأن الهدف الاستراتيجي دمج اليهود داخل المجتمعات الغربية، وتيسير هجرة اليهود لتكوين لوبي قوي في أكثر بلدان العالم، وإنشاء منظمات ذات مصالح مشتركة تهدف إلى خدمة إسرائيل؛ لتكون حائط صد أمام الاعتراضات على السياسات التي تنتهجها إسرائيل خصوصًا بعد أي اعتداء على الشعب الفلسطيني، تقوم تلك المنظمات والجمعيات بدورها في تصحيح وتبرير سياسة إسرائيل.

أما اليهود الأصوليون المعاصرون فإنهم يجاهرون بأنهم شعب الله المختار، وأن اختيارهم هو اختيارٌ خاص من الرب، والتسلط على الشعوب باسم الخدمة الإلهية، والعمل على محاربتها، وإهلاكها، وأنهم فوق الأمم لا يجوز مناكحتهم أو مصاهرتهم؛ لأنهم في مرتبة أدنى من اليهود، وقد ناقش سبينوزا أدلتهم في اعتقادهم بأنهم الشعب المختار، وقام بالرد عليها بالأدلة العقلية الفلسفية والكتابية، وهذا ما سيتضح في المبحثين الآتيين.

المبحث الثالث

براهين سبينوزا الفلسفية في إبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار

مما يميز فلسفة سبينوزا أنها قائمة على العقل، واستخدام المنطق وتطبيقاته في مناقشة القضايا، واستخلاص النتائج من مقدماتها، كما يتميز بأنه فيلسوف حر، لا يرضى أن يخضع تفكيره لأي مؤثر، ومن ثم كان يؤثر العزلة – وهي سمته وديدنه– وتحمل شظف العيش، وفضلها على عرض كرسي تدريس الفلسفة، كما رفض بشدة أية معونة من أثرياء لاهاي في فترة إقامته بها حتى وفاته، وذلك حتى يحافظ على حرية رأيه، وعمق تفكيره، وقوة حجته، وهذا ما جعل عمله مميزًا، حتى إنه استحق أن يلقب بـ "فيلسوف الفلاسفة"، ويقرب من هذا قول هيجل عنه: "لن تكون فيلسوفًا إلا إذا درست فلسفة سبينوزا"(١٣٠).

كما يعد سبينوزا أول فيلسوف في عصر الحداثة ناقش مسألة الاختيار مناقشة فلسفية، وبين حقيقة الاختيار، وقد عبر ذلك زيف ليفي بقوله: " The first philosopher of modernity to come to grips with the concept of chosenness was Spinoza."(١٣١)

وعند النظر في الأدلة التي أبطل بها مزاعم اليهود في أنهم شعب الله المختار نجد أنه رتّبها على مقدمات ونتائج منطقية، وكان على المعارض أن يناقش تلك الأدلة بموضوعية، ويردها بالدليل بدلًا من التشغيب والاستعلاء الذي مارسه عليه الحاخامات

---

(١٣٠) زقزوق، محمود حمدي (الدكتور)، دراسات في الفلسفة الحديثة، صـ ١٢٨.

(131) Levy, Zeev: Spinoza and the Philosophical Impossibility of a Chosen People.https://www.myjewishlearning.com/article/spinoza-and-the-philosophical-impossibility-of-a-chosen-people/

تارة، واستمالته بمبلغ مالي تارة، حتى انتهوا إلى حرمانه بلعنه وطرده وتحذير اليهود من مجالسته، وهذا ما جعل سبينوزا أكثر ثباتًا وتمسكًا برأيه.

واستطاع سبينوزا بعقليته الفلسفية أن يُبرهن على أنَّ اليهود ليسوا شعب الله المُختار كما يظنُّون عادة، واعتمد في ذلك على الحُجَج الفلسفية والنقليَّة الكتابية؛ ليقارع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان، وبالتالي فهو ينكر العهد والوحي الباطنِيَّ الخاص بهم؛ أي إنه يُنكِر أساس استدلالهم بالعهد القديم، ويقوم بذلك بجرأةٍ تامَّة وبوضوحٍ تام وصراحة(١٣٢).

وقبل أن يتطرق سبينوزا إلى الرد على أدلة اليهود وإبطال زعمهم بأنهم الشعب المختار قام بتحرير محل النزاع في المسألة، وقد استخدم التحليل المنطقي في بيان المصطلحات ومدلولاتها، فيفرق بين: حكم الله، وعون الله الخارجي والداخلي، واختيار الله، والحظ.

أولًا: الحكم الإلهي: فسره سبينوزا بأنه: "نظام الطبيعة الثابت الذي لا يَتغيَّر، أو بعبارةٍ أخرى "تَسلسُل الأشياء الطبيعية"(١٣٣)، ومعنى ثبات نظام الطبيعة: أنَّ قوانين الطبيعة الشاملة التي يَحدُث كلُّ شيءٍ ويتحدَّد طبقًا لها، لا تخرج عن دائرة أنها أوامر الله الأزلية، التي تنطوي على حقيقةٍ وضرورة أزلية(١٣٤).

---

(١٣٢) ينظر تعليق المترجم د/ حسن حنفي في هامش صـ ١٧٣، من كتاب رسالة في اللاهوت والسياسة.

(١٣٣) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٢

(١٣٤) حُكم الله في فلسفة سبينوزا هو نظام الطبيعة الثابت الذي لا يَتغيَّر، أو تَسلسُل الموجودات الطبيعية؛ وذلك لأنَّ قوانين الطبيعة الشاملة هي مشيئة الله الأبدية التي تتضمَّن الحقائق والضرورة الأبدِيَّتَين، وعلى هذ فإذا قُلنا إنَّ كلَّ شيءٍ يسير وفق قوانين الطبيعة، أو تحت مشيئة الله، فإنَّ هذا يعني أننا نقول الشيء نفسه؛ لأن صفاتِ الله عند سبينوزا هي قوانين الطبيعة، ووفق تفسيره لوحدة الوجود فالإله هو الطبيعة، الله هو الطبيعة الطابعة، والطبيعة هي الطبيعة المطبوعة. ينظر مقدمة مترجم رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ ٦٧.

ثانيًا: عون الله: ويقسمه سبينوزا إلى قسمين: عون الله الداخلي والخارجي.

فالعون الداخلي: "كلَّ ما تستطيع الطبيعة الإنسانية أن تُنتِجه بقُدرتها الخاصة للمُحافظة على وُجودها، أما العون الخارجي: فهو كلَّ ما تُنتِجه قوَّة الأشياء الخارجية ممَّا فيه منفعةُ هذه الطبيعة الإنسانية"(١٣٥).

فعون الله الخارجي حسب تفسير سبينوزا هو ما تُقدِّمه الطبيعة للإنسان دُون جهدٍ منه، ويَستعين به في حُكمِه وفي حِفظ وجوده وحياته، وقد بنى ذلك بناء على أنَّ قوَّةَ الله هي قوَّة الطبيعة التي يَتحدَّد بها كُلَّ شيء، أما العون الداخلي فهو ما يَصدُر عن الطبيعة الإنسانية بقُدرتِها الخاصة، للمُحافَظة على وجودها في خضم معترك الحياة(١٣٦).

ويلاحظ أن سبينوزا قد ظهرت فلسفته في وحدة الوجود ليجمع بين القوة الذاتية للأشياء وبين قدرة الله التي يحدث بها الأشياء، فعند بيان وجه حصر العون في هذين القسمين –الداخلي والخارجي– نرى سبينوزا يعلل ذلك بأنه: "لَمَّا كانت قوَّة جميع الأشياء الطبيعية هي في ذاتها قُدرة الله نفسها التي يحدُث بها كلُّ شيء ويتحدَّد، فيترتَّب على ذلك أنَّ كلَّ ما يَستعين به الإنسان – وهو نفسه جُزء من الطبيعة – في عمله للمُحافظة على وجوده، وكلَّ ما تُقدِّمه الطبيعة له – دون أن تتطلَّب منه جهدًا– قد قدَّمته له في الحقيقة القُدرة الإلهية وحدَها من حيث هي فاعِلة من خلال طبيعة الإنسان نفسها، أو من خلال أشياء خارجة عن طبيعة الإنسان ذاتها"(١٣٧).

ثالثًا: معنى الاختيار: والمقصود منه أنَّ أحدًا ليس في مقدوره اختيار أسلوب حياته أو أن يفعل شيئًا إلَّا برسالةٍ خاصَّة من الله الذي اختار هذا الفرد وفضَّلَه على الآخرين ليقوم بهذا العمل أو ليحيا وفقًا لهذا الاختيار، وقد رتب ذلك سبينوزا على مقدمة ضرورية وهي

---

(١٣٥) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٤.

(١٣٦) ينظر مقدمة مترجم رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ ٦٧.

(١٣٧) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٤.

أنه لمَّا كان من المُحال ألَّا يَسلُك أحدٌ سلوكًا إلَّا طبقًا لنظام الطبيعة المُحدَّد من قبل، أي طبقًا لحُكم الله وأمره الأزلي، فإنَّهُ يترتَّب على ذلك أنه ليس في مقدوره اختيار شيء أو فعل شيء إلا برسالة من الله ليقوم بالفعل (العمل) أو أن يحيا تحت مظلة الاختيار الذي اختاره الله له(١٣٨).

رابعًا: معنى الحظ: ويفسره سبينوزا بأنه: "حُكمُ الله من حيث سيطرته على أمور البشر عن طريق العِلَل الخارجية التي لا يُمكن توقُّعها"(١٣٩).

إنَّ الحظُّ أو الرزق يفسره سبينوزا بأنه حُكم الله من حيث سيطرته على الأمور الإنسانية بِعِلَلٍ خارجية لا يتوقَّعُها الإنسان، ولا مجال فيه للصُّدفة(١٤٠).

وبعد أن بين سبينوزا الفارق بين المصطلحات وتحرير محل النزاع، استخدم البرهان المنطقي لبيان السبب الذي من أجله سميت الأمة العبرانية بالأمة المختارة أو الشعب المختار المفضل على سائر الأمم.

فبدأ بذكر مقدمة: أنَّ كلَّ ما يُمكن أن يكون موضوعًا لرغبةٍ صادِقة مِنَّا يَرتدُّ إلى واحدٍ من الموضوعات الرئيسة الثلاثة:

الأول: معرفة الأشياء بِعِلَلها الأولى.

الثاني: السيطرة على انفعالاتنا أي الحصول على الفضيلة.

وأخيرًا: العَيش في سلامٍ مع جِسمٍ سليم(١٤١).

ويرى سبينوزا بأن الموضوعين الأول والثاني يُمكن اعتبارهما عِلَلًا قريبةً، وفاعلة أي في الطبيعة الإنسانية ذاتها.

---

(١٣٨) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٤.

(١٣٩) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٤.

(١٤٠) ينظر: مقدمة مترجم رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ ٦٧.

(١٤١) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٤.

وقد عارض ذلك زيف ليفي بأن سبينوزا حاول الرد على الحجج التقليدية للاختيار الأبدي لليهود، وأن استنتاجه –سبينوزا– بأن أي ادعاء بالانتخاب على أساس التفوق الفكري أو الأخلاقي المزعوم هو أمرٌ لا يمكن الدفاع عنه من الناحية الفلسفية(١٤٢).

لكنَّ بيان سبينوزا تجلَّى فيه العمق الفلسفي، وسرعان ما تبين تهافت ادعاء زيف ليفي سالف الذكر؛ لأن سبينوزا أسند إلى العلل الخارجية الوسائل التي يَتَّبِعها الإنسان ليعيش في أمانٍ ولِيُحافِظ على جسده، ويسميها بهِبات الحظِّ، وسبب ذلك: أنَّها تَعتمِد إلى حدٍّ كبير على مَسار العلل الخارجية، وهو مسار خفي لا نعلمه، فمثلًا قد يكون الأبلَهُ سعيدًا أو شقيًّا في هذا الصَّدَد كالحكيم؛ لذلك يرى سبينوزا أن الإنسان إذا أراد أن يعيش في أمن وأمان، وإذا أراد أن يحافظ على نفسه من هجمات البَشَر والوحوش والضواري، فإنه ينبغي عليه أن يسير وفق حكم الحياة البشرية، وأن يكون يقظًا ليصل إلى غايته من الأمان، وأن أيقن الوسائل في ذلك تحقق في مدنية الإنسان التي هي مطبوعة فيه، فالعقلُ والتجربة أثبتا أنَّ أيقنَ الوسائل لا يتحقق إلا عند تكوين مُجتمعٍ يقوم على القوانين الاجتماعية السليمة، والعيش في منطقة مُعيَّنة من العالم، واتِّحاد الجميع وتضافر قواهم داخل ذلك المجتمع البشري، وهذا يتطلب عقلًا واعيًا ويقظة للمحافظة على المجتمع من الانهيار الداخلي، أو الدمار الخارجي، وأن هذا المجتمع إذا سار وفق قوانين قوية وحكم رشيد فإنه يكون قويًّا، وليس في حاجة إلى الحظ أو المصادفة لتحقيق أمانه واستقراراه وتماسكه.

أما المجتمع الهش المتخبط، الذي يفتقد الحكم والقوانين، والذي يغلب فيه الأجلاف والحمقى رأي الحكماء؛ فإنه مجتمع مهترئ متصارع، ومع طول المدة في العيش دخل ذلك التفكك، فإنه لا يصمد أمام التحديات الاجتماعية لتحقيق أمنه واستقراراه، اللهم

(142) Levy, Zeev .Spinoza and the Philosophical Impossibility of a Chosen People.

إلا إذا كان تابعًا لأمة أخرى أقوى منه، بحيث تكون هذه الأمة هي المحرك لتسييره وتولي أموره، بحيث يكون تابعًا لغيره؛ لأنه لا يعقل أن نجاته تحققت من داخله وهو على هذه الهيئة من الهوان والضعف، وأنه إذا تخطى مشاكله وهو على ذلك الوصف المتردي فهذا يرجع لأمر معجز، بعيد كل البعد عن رعاية أسباب النصر والفلاح، لأنه تم من تدون تدبير محكم، ويقرر سبينوزا أن الأمم فيما بينها لا يفضل بعضها بعضًا إلا من حيث النظام الاجتماعي والقوانين التي تَحكُمها وتُنظِّم حياتها، وأن اختيار الله للأمة العبرية وتفضيلها على سائر الأمم لا يرجع إلى حكمتها أو استقرار وطمأنينة في شعبها(١٤٣)، وإنما السبب في ذلك يرجع إلى أنها لما تحقق انتظامها اجتماعيًّا مثل باقي الأمم تحقق لها الأمن المؤقت(١٤٤).

وغير خفيٍّ أن الحظَّ لعب مع العبرانيين دورًا في إقامة دولة استمرت قديمًا لسنين عددًا، ويؤيد هذا ما ورد في الموسوعة اليهودية: "كان الشعب اليهودي قادرًا بشكلٍ فريدٍ على الدخول في شركة مع الله، وكان اختيار إسرائيل يعني الاعتماد على العناية الإلهية الخارقة للطبيعة"(١٤٥).

بالإضافة إلى أن هذا الاختيار القائم على الأخذ بأسباب قيام الدولة وتماسكها كان مقصورًا في مدة زمنية وليس على الإطلاق كما يتوهم العبرانيون، فلما تخلت عن

---

(١٤٣) من الأدلة على خفة اليهود وأنهم كانوا أقل طمأنينة فلم يتميزوا بهذا التمسك عن غيرهم، ودليل ذلك شدة جزعهم وعدم صبرهم عندما غاب موسى عنهم فسرعان ما عبدوا العجل وعظموه، معتقدين أنَّ العجل هو هذه الآلهة التي أخرجتهم من مصر؛ لذا يقول سبينوزا: "إن من الواجب قطعًا أن لا نعتقد أنَّ أناسًا غارقين في خرافات الفراعنة أعني –اليهود– أناسًا أجلافًا قد أنهكهم شقاء العبودية قد عرفوا الله معرفة صحيحة". سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٦٤.

(١٤٤) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٥.

(145) Judaism: The "Chosen People". Jewish Virtual Library. https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-quot-chosen-people-quot.

أسباب العمران وأركان قيام مجتمع قوي متماسك صارت مثلها مثل الأمم المتهالكة التي كتب عليها الخراب والزوال، ويحيل سبينوزا في ذلك إلى ما ورد في أسفار التوراة للاستدلال على ما تعرضت له الأمة العبرانية من هوان(١٤٦).

وبعد هذه المقدمات الضرورية وبيان معنى الاختيار وأسباب تحققه، استدل سبينوزا بأدلة عقلية تجلت فيها فلسفته وقدرته على تطبيق الحجة والبرهان لإبطال مزاعم اليهود في أنهم شعب الله المختار:

الدليل الأول: أن دعوى أفضلية اليهود على غيرهم وزعمهم أنهم الشعب المختار لا تنشأ إلا من الحسد، ومن قلب حاقد، وأن من يفعل هذا يجهل السعادة والنعيم الحقيقي.

ويبين سبينوزا هذا بأن: "سعادة الفرد ونعيمه الحقيقي لا يكونان إلا في تَمتُّعه بالخير، لا في فخره بأنه وحدَه الذي يتمتَّع به مع استبعاد الآخرين، ومن يظنُّ أنه حصل على سعادة أكبر لأنه وحده في حالة طيبة على حين أنَّ الآخرين ليسوا كذلك، أو لأنَّهُ يتمتَّع بسعادةٍ أكبر أو لكَونه أسعد حظًّا من الآخرين، مِثل هذا الشخص يجهَل السعادة والنعيم الحقيقي، فالفرح الذي يَشعُر به المرء نتيجة لاعتقاده أنه أسمى من الآخرين، إن لم يكن شُعورًا طفوليًّا، فإنه لا ينشأ إلَّا من الحسَد أو من القلب الحاقد"(١٤٧).

ولهذا فإن الفرح الذي يشعر به من يظن بأنه أسمى من الآخرين فإنه يرجع إما لأنه طفولي أو حسود ملأ الحقد قلبه، لكن السعادة الحقيقية للإنسان تتكون فقط من الحكمة ومعرفة الحقيقة، وليس على الإطلاق في أنه أكثر حكمة من الآخرين، أو أن الآخرين يفتقرون إلى هذه المعرفة، فمثل هذه الاعتبارات لا تزيد من حكمته أو سعادته الحقيقية(١٤٨).

---

(١٤٦) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٥.

(١٤٧) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧١.

(148) Levy, Zeev: Spinoza and the Philosophical Impossibility of a Chosen People.

وقد جلبت فكرة الاختيار على اليهود النكبات وأشعلت الأزمات، وهذا باعتراف الموسوعة اليهودية: ففي الثلاثينيات من القرن الماضي، بينما كان النازيون يضيقون الخناق حول رقاب اليهود الألمان، لاحظ "جورج برنارد شو" أنه إذا أدرك النازيون فقط أن مفهومهم عن التفوق الآري هو في أصله منبثق من فكرة الاختيار اليهودية، فسوف يسقطونها على الفور، وفي عام ١٩٧٣، في أعقاب حرب يوم الغفران –السادس من أكتوبر–، قال ياكوف مالك، السفير السوفييتي لدى الأمم المتحدة: " لقد تقدم الصهاينة بنظرية الشعب المختار، وهي أيديولوجية سخيفة؛ لأنها تؤجج العنصرية الدينية[١٤٩].

الدليل الثاني: أنَّ الهناء الحقيقي وسعادة الإنسان لا يكونان إلَّا في الحكمة وحدَها ومعرفة ما هو حق، ولن يقر عاقل من العقلاء أن تلك السعادة والهناء الحقيقي لا يمكن تحققهما إلا عندما يتيقن الإنسان بأنه أحكَمَ من الآخرين أو عندما يحرم الآخرون من الحكمة؛ لأنَّ هذا لن يزيد من هنائه الحقيقي، ولن يرفع من قدر حكمته الخالِصة، وأن من يفرَح لذلك يفرَح لشقاء الآخرين، ويكون حَسودًا شريرًا لا يعلم الحِكمة الحقيقية أو طمأنينة الحياة الحقة[١٥٠][١٥١].

لهذا يقرر سبينوزا بأن السعادة الحقيقية والبركة لكل إنسان تكون فقط من التمتع بالخير، وليس في الكبرياء بأنه وحده الذي يتمتع بهما مع إقصاء الآخرين، ومن يظن نفسه أكثر نعمة لأنه ينعم بمزايا وفوائد لا يتمتع بها الآخرون، أو لأنه أكثر نعمة أو حظًا من أقرانه، فهو جاهل بالسعادة الحقيقية والبركة[١٥٢].

---

(149) Judaism: The "Chosen People". Jewish Virtual Library. https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-quot-chosen-people-quot.

(١٥٠) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧١.

(١٥١) وفي هذا ردٌّ شافٍ يتهافت به تمسك اليهود بأن من أسباب اختيارهم أنه يرجع إلى الحكمة.

(152) Levy, Zeev: Spinoza and the Philosophical Impossibility of a Chosen People.

الدليل الثالث: أن العبرانيين لم يكونوا ليحصلوا على سعادة أقل إذا دعا الله جميع الناس للخلاص، وأن مقدار رعاية الله للعبرانيين لن تنقص شيئا لو أن الله أعان الآخرين بعون مماثل(١٥٣).

وفي هذا تعريضٌ بما تميزت به الشخصية اليهودية من جشع وطمع أعمى قلوبهم عن نور الحق، فبعد خروجهم من مصر انبثقت لديهم فكرة كونهم شعب الله المختار، المختص وحده بالعناية الإلهية، التي تهيء لهم كل أسباب الغلبة والنجاة والتفوق، وتجعل الإله يتسامح معهم فيما يرتكبونه ويقترفونه من انحرافات، والذي جعلهم يبغضون الأمم الأخرى، ويظنونهم عبيدًا لهم، فيستحلون ديارهم وأموالهم ودماءهم، دون أدنى حرج ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا(١٥٤).

الدليل الرابع: أن الشرائع لن يطرأ إليها نقص، ولن تتهم بالجور ونقص العدل، ولن يكون العبرانيون أقل حكمة من غيرهم لو أنَّ الشرائع وُضِعت للجميع(١٥٥)،

بل إنَّ هذا سيصير أكثر عدلًا وحكمة؛ حتى يكون الجميع على قدم واحد من المسؤولية والتكليف، واتباع التعاليم الدينية.

الدليل الخامس: أن المعجزات بقدرة الله، وما كانت المُعجِزات أقلَّ إظهارًا لقُدرة الله لو أنها أُظهِرت لأُمَمٍ أُخرى(١٥٦)(١٥٧).

---

(١٥٣) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٢.

(١٥٤) ينظر: عبد الحميد عربي، رجا، سفر التاريخ اليهودي، ط دار الأوائل، سوريا، ط٥، ٢٠١٢، صـ٤٥٥.

(١٥٥) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٢.

(١٥٦) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٢.

(١٥٧) يذكر سبينوزا في المعجزات أن قدامى اليهود قصوا مُعجزاتهم؛ لمحاولة أن يُبيّنوا للناس أنَّ الطبيعة بأسرها مُسيَّرة ومسخرة لمَصلحتِهم وحدَهم بأمر من الإله، وذلك حتى يُقنِعوا المُعاصرين من غير اليهود الذين كانوا يعبدون آلهةً أخرى منظورة كالشمس والماء، وحتى يثبتوا ضعف هذه

من المعلوم أن المعجزات دليل صدق النبوة، وأنها بقدرة الله تعالى، ويستدل سبينوزا بهذا الدليل أنها لو ظهرت لأمم أخرى غير اليهود فهي هي دليل على صدق النبوة، ولن تتم إلا بقدرة الله، دون أن يكون ظهور تلك المعجزات أشد عند اليهود، وأقل في تأكيد صحة النبوة أمام الأمم الأخرى، ويستدل منه على جواز إرسال الرسل من غير اليهود وظهور المعجزات على أيديهم، ويؤكد هذا الحاخام اللورد ساكس، لفكرة جواز أن يرسل الله رسلًا –ويؤيدهم بالمعجزات– وعلى مر التاريخ تحدث الله للبشر بعدة لغات: من خلال اليهودية لليهود، والمسيحية للمسيحيين، والإسلام للمسلمين(١٥٨).

الدليل السادس: أن التزام العبرانيين بعبادة الله لن يظهر فيه قصور أو تفريط لو أن الله أعطى كلَّ هذه الهِبات جميع الناس على السواء(١٥٩).

ومعلوم أن اليهود لم يلتزموا بوصايا الله وميثاقه الذي أخذه عليهم، وعلى أية حال على فرض أنهم التزموا بدينهم فإن هذا لن يضيرهم ولن ينقص من أعمالهم إذا أعطى الله هذه الهبات إلى جميع الناس، والواقع يشهد أن اليهود على الرغم من زعمهم بالعناية الإلهية الخاصة إلا إنهم كانوا من أشد من جحد نعمة لله، ونقض عهده، خصوصًا عندما ظهرت المسيحية والإسلام، حيث إنهم كانوا من أشد الحاقدين على كلتا الديانتين، وخير

الآلهة وتقلُّبها، وخضوعها لإلهٍ غير منظور، وأن الناس قد سروا بذلك إلى القدر الذي جعلهم يصطنعون المعجزات إلى اليوم ليوهموا الناس أنَّ الله قد فضَّلهم على الآخرين، وأنهم هم العِلَّة الغائية التي لأجلِها خلق الله الأشياء جميعًا وما زال يُسيِّرها لأجلهم. ويعقب على ذلك بقوله: "فما أكثر ادِّعاءات الجهل الإنساني، وما أبعدَه عن كلِّ فكرةٍ صحيحةٍ عن الله والطبيعة". سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ٢٢١، ٢٢٢.

(158) JC. Article: How should non-Jewish prophets be viewed?, https://www.thejc.com/judaism/all/how-should-non-jewish-prophets-be-viewed-1.55332Website accessed: December5, 2021

(١٥٩) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٢.

دليل ما يحدثه اليهود من فتن وتدنيس للمقدسات الإسلامية والمسيحية دون أدنى تورع أو خشية من الله.

الدليل السابع: أن ما ورد بشأن سليمان عليه السلام في أنه لن يظهَرَ إنسانٌ بعدَه يُساويه حِكمة، "فإنَّ هذا القول لا يتعدَّى أن يكون مُجرَّد طريقةٍ في الكلام تدلُّ على حِكمته العالية، ومهما يكن من شيء، فإنه لا ينبغي الاعتقاد بأنَّ الله وعدَ سُليمان – لكي يَزيد من سعادته – بألا يُعطي إنسانًا غيرَه من الحِكمة بقدْر ما أعطاه؛ لأن ذلك لن يزيد من ذِهن سُليمان شيئًا، وما كان هذا الملك الفَطِن ليُقَلِّل من ثنائه على الله لنِعَمه الكثيرة عليه، حتى لو أنَّ الله أنبأه بأنه سيُعطي الجميعَ حِكمةً مُماثلة"[١٦٠].

يستدل اليهود على خصوصية ملك سليمان بما ورد في سفر الملوك الأول: (هُوَذَا قَدْ فَعَلْتُ حَسَبَ كَلاَمِكَ. هُوَذَا أَعْطَيْتُكَ قَلْبًا حَكِيمًا وَمُمَيِّزًا حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُكَ قَبْلَكَ وَلاَ يَقُومُ بَعْدَكَ نَظِيرُكَ. وَقَدْ أَعْطَيْتُكَ أَيْضًا مَا لَمْ تَسْأَلْهُ، غِنًى وَكَرَامَةً حَتَّى إِنَّهُ لاَ يَكُونُ رَجُلٌ مِثْلَكَ فِي الْمُلُوكِ كُلَّ أَيَّامِكَ[١٦١]).

يريد سبينوزا من هذا الدليل أن يثبت أن في هبة الحكمة التي أعطاها الله لسليمان عليه السلام ما كانت لتعطى لغيره بقدر ما أعطي من حكمة؛ لأن هذا لن يزيد سليمان حكمة، وما كان لسليمان أنه سيتراخى ويقلل من ثنائه على الله لو نبئ بأن الله سيعطي الجميع حكمة مماثلة للتي وهبها الله له.

الدليل التاسع: أننا لا نُنكِر أنَّ الله قد وضع للعبرانيين وحدهم الشرائع الموجودة في الأسفار الخمسة، وأنه خاطَبَهم وحدهم بهذه الشرائع، وأنهم وحدَهم رأوا من المعجزات التي تبعَثُ على الدهشة ما لم ترَهُ أيَّةُ أمَّةٍ أخرى، بل إنَّ ما نذهب إليه هو أنَّ موسى –عليه السلام–

---

(١٦٠) **سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٢.**

(١٦١) **(الملوك الأول٣: ١١ –١٢).**

إنما أراد بهذه اللغة، واستخدام هذه الأساليب ليُعلِّم العبرانيين عبادة الله، وأن يعرفهم طريقه بلغة وأسلوب تُناسِب رُوحهم الساذجة[١٦٢].

الدليل العاشر: أننا نُبرهِن على أن العبرانيين لم يَتميَّزوا عن سائر الأمم بالعِلم أو التقوى، بل تميَّزوا بشيءٍ آخر وهو الختان[١٦٣]، "وأنَّ العبرانيين، (إذا شئنا أن نتحدَّث بلُغةٍ على مُستوى فَهمهم كما يتحدَّث الكتاب)، بالرغم من التحذيرات المُستمرَّة التي وُجِّهت إليهم، لم يكونوا أصفياء الله في الحياة الحقَّة أو في الأنظار السامية، بل في شيءٍ آخر مُختلِف كلَّ الاختلاف"[١٦٤].

يعتبر الختان من الطقوس المقدسة عند اليهود حتى إنهم أطلقوا عليه عيد الختان، أو (عيدو الخليل) עידו חברוני و"شالومذكر" ولا بد أن يكون الختان يوم السبت، بعد الصلاة، ومن طقوسهم في الاحتفال به أنهم يخمرون لهذا اليوم عجين "شالوم زاكار" أو "زاكار" من الحمص، ويدعى الناس (المعزون) لحضوره، ويقدم لهم العدس والجوز، وتتلى أجزاء من التوراة والمزامير ابتهاجًا بختان الصغير، ومن المعتاد أن تصلى صلاة التسبيح بعد نهاية الكلمة (الشهادة لإسرائيل)، ويوصونه بالوصايا، وحفظ الدم، وحكم عهد الدم، ومن المعتاد عندهم أن تشرب أم المولود الجديد من النبيذ الذي باركه المصلون، ويدعون

---

(١٦٢) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٢، ١٧٣.

(١٦٣) لم ينفرد اليهود وحدهم بالختان، فالعرب أيضًا كانوا يختتنون، وهو من سنن الفطرة، ويظن اليهود أنهم وحدهم من أخذوه عن إبراهيم عليه السلام- ومن ثم أطلقوا على عيد الختان (عيدو خليل)، עידו חברוני، ويعتقدون أنه الوصية الأولى التي أعطيت لأبناء إبراهيم -اليهود- ينظر: ברית המילה מרד. עיד אל-חליל. קיץ 2017 עמ' 67 وقد ساق سبينوزا هذه الميزة من باب التهكم باعتباره الشعيرة الدينية الباقية عن أسلاف اليهود، وفي هذا دلالة على رقتهم في دينهم بسبب ما لاقوه من شتات في الأرض.

(١٦٤) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٣.

لها دعاء من أجل شفائها لأنها بحاجة إلى الرحمة والشفاء، وتظل الصلوات تعقد في بيت الطفل لأيام لأجل أن يحفظه يهوه من الشرور[١٦٥].

الدليل الحادي عشر: أن الضرورة تقتضي أن المُجتمَعات على قسمين، قسم استطاع أن يُرسي دعائمه بواسطة حكم أناس على قدرٍ كبيرٍ من الدراية واليقَظَة، وهذا يتميز بأنه أكثرَ أمانًا واستقرارًا وأقلَّ خضوعًا للحظ، والثاني: أنه مجتمع تكون من أناسٍ أجلافٍ يتسمون بالغلظة والجفوة، وهذا يتسم بأنه أكثر اعتمادًا على الحظِّ وأقلَّ استقرارًا، وأنَّ هذا المجتمع إذا استمر مدة من الزمن على الرغم مما فيه من سلبيات وافتقار مقومات المجتمع الآمن، فإن هذا يرجح أنه بتأثير مجتمع آخر على ذلك المجتمع بحيث يكون تابعًا له في حكمه، وبهذا التقسيم تتمايز الأُمَم فيما بينها، وأن معيار التمايز من خلال النظم الاجتماعية والقوانين التي تحكمها وتنظم حياتها، وهذا ما تميزت به الأمة العبرية وقتئذ[١٦٦].

فجماعة إسرائيل كما وردت في التلمود يُشبَّهون في عزلتهم وتقوقعهم على الذات بحبة الزيتون؛ "لأن الزيتون لا يمكن خلطه مع المواد الأخرى، وكذلك أعضاء جماعة إسرائيل يستحيل اختلاطهم مع الشعوب الأخرى، وقد كانت عملية التفسير هذه ضرورية، في الواقع؛ لأن أعضاء الشعب المختار المقدَّس، الذي يفترض أن الإله قد حل فيه، وجدوا أنهم من أصغر الشعوب في الشرق الأدنى القديم وأضعفها، ولم يكونوا بأية حال أكثرها رقيًا أو تفوقًا، كما حاقت بهم عدة هزائم انتهت بالسبي البابلي"[١٦٧].

---

(١٦٥) ينظر: شموئيل بينشاس غالبارد، كنز أذواق التقاليد، שמואל פנחס גלברד / אוצר טעמי המנהגים، פתח תקוה תשנ"ו שערא:בריתמילה א.שלומזכר، תת

(١٦٦) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٥.

(١٦٧) المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (٥/ ٧٢).

الدليل الثاني عشر: أن اختيار الله للعبرانيين وتفضيلهم على سائر الأمم، لا يرجع إلى حكمة الأمة العبرية ولا إلى طمأنينة نفسها، وإنما يرجع إلى النظام الاجتماعي وإلى الحظِّ الذي حقق لها قيام دولة، وحفظها مدة رعاية الله لهم تحقيقا لوعده، وهذا مرهونٌ بحفاظ الأمة على أمنها وسلامتها، فيزول الاختيار بزوال ذلك(١٦٨).

فاسبينوزا يرى أن تمايز الأمم عن بعضها البعض يرجع إلى التنظيم الاجتماعي والقوانين التي تعيش وتحكم في ظلها شعوب تلك الأمم، وأن الأمة العبرية لم يخترها الله نظرًا إلى حكمتها ولا إلى طمأنينة وخلق شعبها، ولكن جوهر الاختيار يرجع إلى ما يتعلق بتنظيمها الاجتماعي والحظ السعيد الذي نالت به السيادة وقتئذ، واحتفظت به لسنوات وقت قيام الدولة، وعند زوال تلك الأسباب زالت الدولة وأسر شعبها إلى بابل، وذاق الهوان بعد أن زالت دولته، واستبيحت حرمته، مما يدل تبدل الحال على زوال ذلك العهد وعدم سريانه إلى زمن غير زمن إقامة مملكتهم، فزال بزوالها.

ويستدل سبينوزا على ذلك بما ورد في الكتاب المقدس أنه عند تصفحه ولو بطريقة عارضة، "لرأَيْنا بوضوحٍ أنَّهُ إذا كان العبرانِيُّون قد تَميَّزوا بشيءٍ ما عن الأُمَم الأخرى، فإنهم قد تَميَّزوا بازدهار أحوالهم فيما يتعلَّق بالأمن في الحياة، وبما حصلوا عليه من سعادة في التغلُّب على المخاطر الكبرى، وقد تَمَّ لهم كلَّ هذا بعَون الله الخارجي فحسب، وفيما عدا ذلك كانوا على قدَم المُساواة مع باقي الأمم، فالله يرعى الجميع على السواء"(١٦٩).

ومن هنا يستدل سبينوزا على أن قيام الدولة لم يكن لميزة خاصة ترجع إلى فضل في شخصية اليهود، وإنما قامت الدولة بعون خارجي حقق لها الأمن والازدهار، وإذا

---

(١٦٨) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٥.

(١٦٩) المرجع السابق، صـ١٧٥، ١٧٦.

سلب منهم هذا العون الخارجي فلا بقاء لأفضلية أو اختيار لهم، وأن الأمور الأخرى التي يكون عليها المفاضلة فهم وباقي الأمم فيها سواء.

الدليل الثالث عشر: أن الله لم يختر اليهود لحكمتهم؛ لأن الثابت أنهم كانت لدَيهم مُعتقدات مخالفة بعيدة كل البعد عن وصايا الله وتشريعاته؛ لذلك لم يختَرْهم الله ولم يُفضِّلهم على الآخرين لهذا السبب، كذلك لم يخترهم من أجل الفضيلة والحياة الحقَّة؛ لأنهم كانوا في هذا الأمر على قدَم المساواة مع باقي الأُمَم، ولم يقَع الاختيار إلَّا على قليلٍ منها؛ وعلى ذلك، فقد تَمَّ اختيارهم وأُعطوا رسالةً من أجل الازدهار الدُّنيوي لدَولتِهم، ومن أجل مزاياهم المادية فقط، وليس لتميز في الحكمة أو الفضيلة[١٧٠][١٧١].

وقد سجل التاريخ صراعًا مستمرًّا بين اليهود وبين سائر البشر، على اختلاف لأجناس والأعراق والعصور والأمكنة، وفي هذا دليلٌ قاطعٌ على جبلتهم وأخلاقهم التي كانوا وما زالوا منفردين بها، والتي جعلتهم يعتبرون جميع الناس في منزلةٍ دونهم، ويجعلونهم غرباء عنهم، وأعداء لهم، وجعلت جميع الناس بالمقابل يبادلونهم نفس الشعور من التوجس خيفة منهم، والارتياب فيهم، فاعتبروهم غرباء عنهم، وأعداء لهم، وهم يعاملونهم على هذا الاعتبار، ويقصونهم عنهم لأنهم يفتقدون الحكمة[١٧٢].

---

(١٧٠) من الأدلة المعاصرة على أن اليهود يفتقدون الحكمة في التعامل مع الآخر أنهم يغلب على طباعهم الأنانية وكراهية الغير، وتخوفهم أشد ما يكون التخوف من تبوء المسلمين مكانة في الغرب، فسرعان ما يكيدون لهم، ويتربصون بهم، مثل ما يدعونه من أن زيادة أعداد المسلمين في الجاليات المقيمة بأوروبا ستسبب في عدم استقرار الجالية اليهودية، وستهدد تواجدهم ي تلك البلاد، ومن ثم لم تسلم بلد أوروبية من دعم اليهود للتيارات المتطرفة الحديثة والمعاصرة التي تحارب الإسلام، وتروج للإسلاموفوبيا، ومثله ادعاء المتحدث باسم الوكالة اليهودية في فرنسا للتخوف من تصاعد المسلمين. ينظر: المسيري، عبد الوهاب، الصهيونية وخيوط العنكبوت، طبعة دار الفكر، دمشق، ط الأولى، ٢٠٠٦، صـ٥٨.

(١٧١) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٦.

(١٧٢) ينظر: عبد الحميد عربي، رجا، سفر التاريخ اليهودي، ط دار الأوائل، سوريا، ط٥، ٢٠١٢،

ومن ثم فإن اليهود يفتقدون المبادئ والمقومات الضرورية لتكوين حضارة، "فالحضارة في جوهرها قيم فاضلة وأخلاق، وتحت أثير القيم والمعتقدات الأخلاقية تتكون العلاقات في المجتمع على اختلافها، ولا يكون للإنسان أي قيمة في المجتمع إلا بمقدار ما يكون له من مواقف أخلاقية ثابتة وعميقة من العالم والحياة، ولا يكون للإنسان أي قيمة في المجتمع إلا بمقدار ما يكون له من مواقف أخلاقية؛ لأن الأخلاق هي العامل الأول في تكون أي مجتمع"(١٧٣).

الدليل الرابع عشر: أن الشريعة لم تَعِدِ العبرانيين بأية وعود مُقابل طاعتهم لله إلَّا باستمرار دَولتِهم الذي يَسعدون به وبِنِعَم الدنيا، وفي مُقابل ذلك فإنها أنذرَتْهم بسقوط الدولة وبأفدَحِ المصائب لو أنهم عَصَوا مِيثاق الله ونقضوه، وهذا غاية كُل مُجتمع وكل دولة في العَيش في أمنٍ والحصول على مزايا مُعيَّنة، إلَّا أنَّ الدولة لا يمكن أن تبقى إلا بالقوانين التي يلتزِم بها كلُّ فرد. ولو أراد جميع أعضاء المجتمع الواحد إلغاء القوانين فإنهم بذلك إنما يَقضُون على المجتمع وعلى الدولة معًا، وعلى ذلك، فإنَّ أيَّةَ وعودٍ لم تُعطَ لمُجتمع العبرانيين، مُقابل المُراعاة الدائمة للقوانين، خلا الأمن في الحياة والنعم المادية(١٧٤).

فإسرائيل بعد أن عرفت الله ورأت المعجزات المؤيدة لنبوة رسوله موسى –عليه السلام– لم يذعنوا لذلك، وسرعان ما ذلوا عند أول فتنة إلى عبادة العجل، وارتكبت شرورًا وقبائح وارتكبت الشنائع؛ لذلك حرمت إسرائيل من رحمة الله القدوس لأنها رفضت القداسة، كما تحتم أن تحل بها النقم، وتفضح بين شعوب الأرض؛ لأنها عدلت عن جوهر الرسالة

صـ٤٥٤.

(١٧٣) كنعان، جورجي، مفهوم الألوهة في الذهن العربي القديم، طبعة بيان للنشر، بيروت – لبنان، ط الثانية، ١٩٩٦م، صـ٢٥٢.

(١٧٤) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٦، ١٧٧.

التي نزلت على موسى –عليه السلام– ورذلت الأخلاق[١٧٥]، وخالفت الفطرة السوية[١٧٦]، فإسرائيل في خيانتها ومخالفتها لوصايا الله خسرت كل ما وعدت به، ووصفهم الكتاب المقدس بأنهم بانحرافهم صاروا أدنى من الحيوان: (اَلثَّوْرُ يَعْرِفُ قَانِيَهُ، وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلاَ يَعْرِفُ، شَعْبِي لاَ يَفْهَمُ[١٧٧])، فكان حقًا أن يحرموا من وعد الله لهم؛ لأنهم بدلوا النعمة كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار.

الدليل الخامس عشر: أن الكتاب المقدس لم يتوعد اليهود عند مخالفتهم الشريعة إلا بزوال دولتهم وانهيارها، وما يتبعه من تخريب وشرور، وأنهم عند حلول الوعيد بهم زال اختيارهم[١٧٨].

مما ورد في الكتاب المقدس للاستدلال على عقاب الله لإسرائيل: (اِسْمَعُوا هذَا الْقَوْلَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ عَلَيْكُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، عَلَى كُلِّ الْقَبِيلَةِ الَّتِي أَصْعَدْتُهَا مِنْ أَرْضِ مِصْرَ قَائِلًا: إِيَّاكُمْ فَقَطْ عَرَفْتُ مِنْ جَمِيعِ قَبَائِلِ الأَرْضِ؛ لِذلِكَ أُعَاقِبُكُمْ عَلَى جَمِيعِ ذُنُوبِكُمْ[١٧٩]). ومن ثم فعند تحقق الوعيد وحلول النقم على اليهود التي زالت بها دولتهم فقد زال اختيارهم.

---

(١٧٥) ينظر: المسكين، متى، تاريخ إسرائيل، مطبعة دير القديس أنبا مقار، مصر، ط٣، ٢٠٠٧، صـ٣٦١، ٣٦٢.

(١٧٦) ومثال الشنائع التي ارتكبوها: (هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «مِنْ أَجْلِ ذُنُوبِ إِسْرَائِيلَ الثَّلاَثَةِ وَالأَرْبَعَةِ لاَ أَرْجِعُ عَنْهُ، لأَنَّهُمْ بَاعُوا الْبَارَّ بِالْفِضَّةِ، وَالْبَائِسَ لأَجْلِ نَعْلَيْنِ الَّذِينَ يَتَهَمَّمُونَ تُرَابَ الأَرْضِ عَلَى رُؤُوسِ الْمَسَاكِينِ، وَيَصُدُّونَ سَبِيلَ الْبَائِسِينَ، وَيَذْهَبُ رَجُلٌ وَأَبُوهُ إِلَى صَبِيَّةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى يُدَنِّسُوا اسْمَ قُدْسِي. وَيَتَمَدَّدُونَ عَلَى ثِيَابٍ مَرْهُونَةٍ بِجَانِبِ كُلِّ مَذْبَحٍ، وَيَشْرَبُونَ خَمْرَ الْمُغَرَّمِينَ فِي بَيْتِ آلِهَتِهِمْ) (عاموس ٢: ٦–٨).

(١٧٧) (إشعيا ١: ٣).

(١٧٨) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ ١٧٧.

(١٧٩) (عاموس ٣: ١–٢).

الدليل السادس عشر: أن قوانين العهد القديم قد أُوحيت لليهود وَوُضِعَت لهم وحدهم؛ لأن هذا أهم مقوم لقيام المجتمع، فكان من الضروري أن تكون لهم قوانين خاصة، ولكننا نرى أن الكتاب المقدس شهد لأمم أخرى كونت إمبراطوريات ودول، وكانت لهم قوانين خاصة بحُكم الله الخارجي، وبهذا فلا حجة لتمايز اليهود بقوانينهم عن الأمم الأخرى(١٨٠).

عندما أراد سبينوزا أن يعقد مقارنة بين قوانين اليهود وقوانين المجتمعات الأخرى، فإنه لم يقم أمامه دليل كاف بأن الأمم الأخرى تلقت التشريعات من خلال أنبياء مثل اليهود، وبطريقة الوحي نفسها التي أوحي بها إليهم، إلا إنه استشهد بما ورد في الكتاب المقدس بأن أمما أخرى كانت لهم قوانين وتشريعات كانت بمثابة العماد لقيام تلك الدول والإمبراطوريات، فعندئذ لا توجد مزية يتمايز بها العبرانيون عن غيرهم.

الدليل السابع عشر: أنَّ اختيار الله لليهود كان يتعلَّق بالنِّعَم الدنيوية الجسدية وبالحرية، أي بوجود الدولة، وطُرُق إقامتها ووسائل بقائها فقط، وبالقوانين الضرورية لإقامة هذه الدولة الخاصة، وأخيرًا بالطريقة التي أُوحِيَت بها هذه القوانين، وفيما عدا ذلك ممَّا يكون القيمةَ الحقيقية للإنسان، فلم يتميَّز اليهود على غيرهم بشيء(١٨١).

في هذا الدليل يؤكد سبينوزا على أن اليهود لم يتميزوا إلا بالدولة التي قامت بعون الله الخارجي وفقط، وأنهم لا يمتلكون أي أفضلية ترجع إلى ذواتهم ولا إلى طباعهم وأخلاقهم، وهي القيمة الحقيقية للإنسان، ومن ثم لا يتميز اليهود عن غيرهم في شيء.

الدليل الثامن عشر: أن الله ما دام يرعى الجميع على السَّواء، ولم يَختَرِ العبرانيين إلَّا من حيث وجودهم في مُجتمع زمني وفي دولة فإن هذا يلزمه بالضرورة أن اليهودي بمُفرده،

---

(١٨٠) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٧.

(١٨١) المرجع السابق.

الخارج عن المُجتمع والدولة، لا يَتميَّز عن الآخرين بأيَّةِ هِبةٍ من الله، ومن ثَمَّ فلا فرْقَ بينَهُ وبين غَير اليهودي(١٨٢).

يريد سبينوزا أن يقيم الدليل على أنه لا تمايز لليهود إلا حال تواجدهم في مجتمع داخل دولة، وأنه مرتبطٌ بزمن وهو وقت قيام تلك الدولة، أما بعد تشتتهم في البلاد، وتحولهم إلى أفراد مشردين خارج نظام الدولة ومقوماتها –والذي قد زال قطعًا بسقوط تلك الدولة–، وعدم وجود مقوماها التي تحفظ بقاءهم، فلا اختيار ولا مزية لهم كما يعتقدون.

الدليل التاسع عشر: أن الله لما كان لطيفًا رحيمًا بالجميع، وأن مهمة النبي أقربَ إلى تعليم الفضيلة الحقَّة وتهذيب البشر منها إلى تعليم القوانين الخاصَّة بالوطن، فلا شكَّ أنَّ جميع الأمم كان لها أنبياء، وأنَّ هِبَةَ النبوَّة لم تكن قاصِرة على العبرانيين، وهذا ما يشهد به التاريخ الدِّيني والتاريخ الدُّنيَوي على السواء(١٨٣).

لم تكن هبة النبوة قاصرة على العبرانيين وحدهم دون ما عداهم؛ وذلك لأن البشرية دائمًا في حاجة إلى النبوة، وفي أمس الحاجة للدين الذي يضبط معاش الإنسان، ويذكرهم بمعادهم، فالدين "هو روح الأمة، وسبب من أسباب وحدتها، وعلة في اتخاذها وجهة تشكيلها، وتطبع سلوك أفرادها على هيئة خاصة بحسب الدين الذي يعتنقه هؤلاء الأفراد، ولست تجد أمة تخلو من دين"(١٨٤).

ومن ثم أرسل الله الرسل لليهود وغيرهم، ويؤيد هذا ما يستدل به اليهود من التوراة والتلمود أنه يوجد أنبياء لغير اليهود مثل بلعام، وأبيه، وأيوب، ولعل هذا يفتح الباب لطرح سؤال هل يعترف اليهود بهبة النبوة من خارجهم –أي نبي غير يهودي–؟ وبالبحث عن

---

(١٨٢) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٩.

(١٨٣) المرجع السابق.

(١٨٤) مقدمة الدكتور أحمد فؤاد الأهواني في ترجمة كتاب العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو، طبعة الهيئة العامة للكتاب القاهرة، ٢٠١٣، صـ٣.

الإجابة لهذا السؤال تبين وجود اختلاف اليهود فبعضهم أجاب بالنفي، والبعض أجاب بالإيجاب، فهناك رأي يعتقد أنه لا يزال بإمكان غير اليهود تلقي النبوة، وقد دفع هذا الموقف الحاخام "نتنئيل بيرف فيومى"[١٨٥]، إلى القول بأن الله أقام عهدا أبديا مع موسى وبني إسرائيل، لكنه أقام أيضًا عهدًا مع محمد والمسلمين.

ومع اعتراف الحاخام الفيومي بنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–، إلا إنه انتكس وقال بأن هذا لا يعني أن اليهود يجب أن يصبحوا مسلمين، وقد ذكر ذلك في كتابه بستان العقول: "يوجد دليل على أن الله يرسل نبيًا لكل الناس حسب لغتهم، وأن هذا موجود في القرآن، "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ" (إبراهيم: ٤)، وبالتالي لو أرسل الله لنا نبيًا يهوديا لكان بالتأكيد من لغتنا"[١٨٦].

وهذا باطلٌ لما هو ثابتٌ شرعًا من جواز نسخ الشرائع، بالإضافة إلى ما هو ثابتٌ من عموم رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم، كما أن صاحب هذا الكلام وهو نتنئيل بيرف فيومى، نشأ في بلاد اليمن، وشب وشاب حتى مات فيها، وكان ممن تكلم بلسانها العربي الفصيح، فبالتالي سقطت حجته.

الدليل العشرون: أن هبة النبوة لم تكن وقفًا على اليهود وحدهم بشهادة الكتاب المقدس التي تشهد أن أنبياء من غير اليهود قد تنبأوا أيضًا وبهذا يبطل ما ذهب إليه الفريسون في دعواهم بأن هبة النبوة كانت ميزة لليهود وحدهم دون ما عداهم، وأن الأمم الأخرى كانت تنبوءاتهم بأنبياء كذبة وبقوة شيطانية، وهذا كله تبطله النصوص الكتابية[١٨٧].

---

(١٨٥) نتنئيل بيرف فيومى، وقال: ناتانئيل الفيومي، كان حاخامًا يهوديًّا، عاش في اليمن في القرن الثاني عشر، ولد سنة ١٠٩٠ وتوفي سنة ١١٦٥، من مؤلفاته: بستان العقول.

(١٨٦) فيومى، نتنئيل بيرف، بستان العقول، ترجمة سهير دويني، طبعة المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط الأولى، ٢٠١٤، صـ ١٩٠.

(١٨٧) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٨٣.

وهذا الدليل قريب من سابقه، إلا أن هذا الدليل يدحض ادعاء الفريسين في طعنهم في صحة النبوة من خارج اليهود؛ لزعمهم بأن الأنبياء من خارج اليهود هم أنبياء كذبة، وأن الوحي الذي نزل عليهم كان بقوة شيطانية، وهذا افتراء وكذب في حق أنبياء الله يقطر عنصرية وحقدًا على الأمم غير اليهود.

الدليل الحادي والعشرون: أننا نجد في نصوص الشريعة أدلة صريحة بأنَّ الله لم يَختَرْ أمَّةَ العبرانيين إلى الأبد بصورة مُطلقة(١٨٨)، وأن جميع الأنبياء قد تنبَّأوا بمِيثاقٍ جديد أزلي، وهو مِيثاق معرفة الله وحُبِّه وفضله، فإنه من السهل بداهة أن نقتنِع بأنَّ هذا وعدٌ للأتقياء وحدَهم، وأنه ورد في الأسفار أنَّ الله سيفصِل عنهم العُصاة والمُرتدِّين، بينما نجد في سفر آخر أن الله سيُهلك الأغنياء ويُبقي على الفقراء(١٨٩).

من المعلوم أنه لا يوجد دليلٌ مقبولٌ يؤيد ادعاء اليهود في زعمهم بالأفضلية القائمة على الفضيلة الحقة وحدها، ومع هذا فإذا قام الأنبياء بمزج الاختيار المبني على الفضيلة الحقة وحدها بكلمات تدلل على الشعائر وقديم القرابين عن أمة المدينة وإعادة بناء المعبد الذي زال بزوال دولتهم، فقرر سبينوزا أن هذا ما هو إلا تفسير للأمور الروحية والأشياء المجردة في صورة حسية، وأن هذا حسب تفسير سبينوزا للنبوة أن الأنبياء يقربون الأمور المعنوية في صورة حسية؛ وذلك لأنه يتحدث عن قوم تعلقت قلوبهم بالماديات، وجحد الروحانيات وإنكارها، ومثال ذلك طلبهم من موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة، ووقوعهم في فتنة عبادة العجل بعدما ذهب موسى للقاء ربه؛ مما يدل على خفة قلوبهم وعدم رسوخ عقيدتهم في الإله الذي سرعان ما تحينوا الفرصة لاستبداله بإله مجسد

---

(١٨٨) لأن الاختيار كان مرهونًا بتنفيذ وصايا الله، والوفاء بعهده، لكن اليهود قد خالفوا تعاليم الشريعة، وأشركوا بالله، فحق أن يحل عليهم عقاب الله، وأن تنزل بهم النقم.

(١٨٩) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٨٧.

محسوس، وأن إعادة الدولة وتشييد المعابد توقعوا حدوثه في عهد قورش، ولا يجوز توقع ذلك في العصر الحديث لتتهافت معه دعوى الاختيار.

ويستخلص سبينوزا من تلك المقدمات أن هذا الاختيار كان متعلقًا بالفضيلة الحقة، فيجِب ألَّا يظن أن الله قد وعد الأتقياء من اليهود وحدَهم، مع استبعاد الشعوب الأخرى، "بل يجِب أن نعتقد اعتقادًا جازمًا بأن الأنبياء الحقيقيّين من غير اليهود – وقد أثبتْنا أن جميع الأُمَم كان لها أنبياؤها– قد وعدوا المؤمنين من أُمَمِهم بهذا الاختيار ذاته، وقدَّموا إليهم هذا العزاء نفسه، وعلى ذلك، فإنَّ هذا المِيثاق الأزلي لمعرفة الله وحُبِّه هو مِيثاق شامل... وهكذا، يجب ألَّا نُفرِّق مُطلقًا في هذه الناحية بين اليهود وغيرهم، وليس ثَمَّة اختيار يختصُّ به اليهود سوى هذا الذي عرَضْناه الآن "(١٩٠).

الدليل الثاني والعشرون: أن الأنبياء إذا كانوا يمزجون هذا الاختيار المبني على الفضيلة الحقَّة وحدها بكلماتٍ تُشير إلى القرابين والشعائر الدينية الأخرى عن إعادة بناء المعبد والمدينة، فإنهم ما أرادوا ذلك إلا مراعاة لمقتضى عادة النُّبوَّة وطبيعتها بأن يُفسِّروا الأمور الرُّوحية في صور حسية تُبيِّن لليهود الذين أرسل إليهم هؤلاء الأنبياء "بأن إعادة بناء الدولة والمعبد كان يجِب تَوقُّعُه في عهد قورش، وإذن فليس لليهود الآنَ ما يَعزونَه لأنفسهم مِمَّا هو خليقٌ بأن يضعَهم فوق سائر الأمم"(١٩١).

الدليل الثالث والعشرون: أنه لا يجوز لليهود التمسُّك بأنهم الشعب المختار اعتمادًا على تاريخهم الطويل وأسبقيتهم عن أمم لاحقة، وأن هذا يحسب عليهم وليس لهم؛ لأن الأمة العبرية ضاعت دولتها واستبيحت أرضها، وليس في ذلك أدنى شك أو مواربة، فقد عاش اليهود ردحًا من الزمن في معزلٍ عن جميع الأُمَم حتى جلبوا لأنفسهم كراهية الجميع، وأنَّ

---

(١٩٠) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٨٧، ١٨٨.

(١٩١) المرجع السابق.

ذلك لم يكن مبنيًّا على مراعاتهم طقوس الشريعة التي تخالف طقوس الأمم التي وقعوا تحت أسرها ولممارستهم طقس الختان، لكنهم لم يحافظوا على شرائعهم بسبب جحودهم وافترائهم الكذب على الله، وتغييرهم دينهم كما حدث في إسبانيا عندما أجبرهم أحد ملوك الأسبان ليتنعموا بالمناصب، شريطة التخلي عن يهوديتهم والدخول في الكاثوليكية الرومانية، وما حدث لبعضهم في البرتغال من إقصاء وتهميش إذن يتبقى لتميزهم طقس الختان، ويقرر سبينوزا في صورة ساخرة بأن طقس الختان وحده لما فيه من قِيمة وأهمية ما يجعله يعتقد أنه وحدَه يستطيع أن يضمَنَ لهذه الأمة اليهودية وجودًا أزليًّا(١٩٢).

ومما يؤكد استخدام سبينوزا أسلوب التهكم والسخرية في قوله بأن طقس الختان وحده يعد ضمانة لوجود اليهود وجودًا أبديًّا أنه ضرب لذلك مثلًا بالصينيين في تميزهم عن غيرهم أنهم يحتفظون بخصلة من الشعر على شكل ذيل فوق الرأس ليتميَّزوا بها عن سائر الناس، كذلك اليهود في حفاظهم على طقس الختان، فيتهكم سبينوزا من هذا ليعده سرًّا من أسرار بقائهم عبر آلاف السنين، وتوغلهم في القدم عن باقي الأمم، ويذكر مترجم الكتاب في تعليقه قائلًا: "هذه سُخرية من سبينوزا؛ لأنه لا يعتقِد أن اليهود شعب الله المُختار"(١٩٣).

الدليل الرابع والعشرون: أنه إذا أراد أحدٌ أن يتمسَّك بأن اليهود هم شعب الله المختار إلى الأبد لهذا السبب أو ذاك، فإن سبينوزا لن يعارض في ذلك، بشرط أن يفهم أن اختيارهم الزَّمَني أو الأبَدي، بقدر ما هو وقفٌ عليهم، يتعلَّق فقط بالدولة وبالمزايا المادية، فلا يُوجَد

---

(١٩٢) كان الأحرى أن يعبر المؤلف باستخدام لفظ (أزليًّا أبديًا) بدلًا من (أزليًّا) فقط؛ لأن الحديث عن تجدد الاختيار مستقبلًا بناء على الاختيار الماضي، وقد سبق أن أبطل أزلية اختيار الله لليهود، وهنا يبطل أبدية الاختيار قياسًا على إبطال الأزلية. ينظر: رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٨٩.

(١٩٣) تعليق المترجم د. حسن حنفي، رسالة في اللاهوت والسياسة، هامش صـ١٨٩.

أي فرق غير ذلك بين أُمَّةٍ وأخرى، أما إذا كان الاختيار قائمًا على وفرة الذِّهن وإلى الفضيلة الحقَّة فإنه لم تُخلَق أمَّةٌ مُتميِّزة عن الأخرى بهذا الوصف، وأن الله لم يخْتَر أمَّةً بعينها، مُفضِّلًا إيَّاها في هذه الناحية على الأمم الأخرى(١٩٤).

هذا هو ختام الأدلة العقلية ومفاده أن اليهود إذا أرادوا التمسك بأنهم شعب الله المختار إلى الأبد فإنه لن يعارض ذلك، ولكن بشرط أن يكون هذا الاختيار متوقفًا على قيام الدولة، وبما يتحقق لقيامها من مقومات، وطالما أن دولتهم القديمة قد سقطت فلا أفضلية لهم، ويرفض سبينوزا الاختيار القائم على المزايا الذهنية العقلية، أو إلى الفضيلة؛ وذلك لأنه يرى أنه لن تتمايز أمة عن أخرى بهذا الوصف، وأن الله لم يختر أمة بعينها – يقصد اليهود– مفضلًا إياها عن الأمم الأخرى.

***

(١٩٤) ينظر: سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، هامش صـ١٨٩.

المبحث الرابع

البراهين الكتابية التي استدل بها سبينوزا

في إبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار

استدل سبينوزا بعدة أدلة كتابية استخلصها من العهد القديم لإبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار، وليثبت أن استدلال اليهود على أزلية وأبدية الاختيار ليس حقيقة ميتافيزيقية، وإنما هو في حقيقته مستمدٌّ من ظروف خاصة ولفترة محددة في تاريخ إسرائيل القديم، ولا يجوز إطلاقه أو الحكم بسريانه على مدى الزمان والآجال، ومما تميز به منهج سبينوزا أنه استخدم التفكير المنطقي في استخلاص تفسير الآيات الكتابية، كما أنه استخدم التأويل للردِّ على أدلة اليهود في المسألة، كما يتميز منهج سبينوزا بأنه قام بالتوفيق بين الدين والفلسفة عند بحث المسألة، فلم يكتف بالأدلة الفلسفية فقط، وإنما رد على اليهود بأدلتهم نفسها، ولكن بتفسير وفهم مختلفين أكثر عمقًا استنتجه الحاخامات، فشتان بين قراءة العقل الفلسفي المتدبر، وبين قراءة العقل المقلد، ثم جعل الإطار العام لمنهجه من خلال الجانب النقدي ليكون محور دراسة القضية.

ويندرج منهج سبينوزا في توجيه الاستدلال لإثبات الحجة، وإبطال مزاعم اليهود بأنهم شعب الله المختار تحت عدة أقسام:

أولًا: أنَّ سبينوزا قام بالرد على الأدلة التي استدل بها اليهود بأنهم شعب الله المختار، ومثال ذلك:

١- استدلالهم بما ورد في سفر التثنية: (وَلكِنَّ الرَّبَّ إِنَّمَا الْتَصَقَ بِآبَائِكَ لِيُحِبَّهُمْ، فَاخْتَارَ مِنْ بَعْدِهِمْ نَسْلَهُمُ الَّذِي هُوَ أَنْتُمْ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ[١٩٥]).

---

(١٩٥) (تثنية ١٠: ١٥).

فيذكر سبينوزا في الرد على تمسك اليهود بهذا الدليل أن هذا لحث العبرانيين على طاعة الشريعة[١٩٦]، وأن موسى –عليه السلام– استخدم الحديث بلغة تناسب مستوى فَهم العبرانيين، وأنه –عليه السلام– أراد باستخدام هذه اللغة والأساليب أن يُعلِّم العبرانيين عبادة الله، وأن يَربِطهم به بطريقةٍ تُناسِب رُوحهم الساذجة[١٩٧].

٢– ومما ورد أيضًا من استدلالهم على الاختيار: (وَأَمَّا أَنْتُمُ الْمُلْتَصِقُونَ بِالرَّبِّ إِلهِكُمْ فَجَمِيعُكُمْ أَحْيَاءٌ الْيَوْمَ [١٩٨]) و(لأَنَّهُ أَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لَهُ آلِهَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْهُ كَالرَّبِّ إِلهِنَا فِي كُلِّ أَدْعِيَتِنَا إِلَيْهِ؟ وَأَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لَهُ فَرَائِضُ وَأَحْكَامٌ عَادِلَةٌ مِثْلُ كُلِّ هذِهِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَنَا وَاضِعٌ أَمَامَكُمُ الْيَوْمَ؟[١٩٩]).

(فَاسْأَلْ عَنِ الأَيَّامِ الأُولَى الَّتِي كَانَتْ قَبْلَكَ، مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي خَلَقَ اللهُ فِيهِ الإِنْسَانَ عَلَى الأَرْضِ، وَمِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاءِ إِلَى أَقْصَائِهَا، هَلْ جَرَى مِثْلُ هذَا الأَمْرِ الْعَظِيمِ، أَوْ هَلْ سُمِعَ نَظِيرُهُ؟[٢٠٠]).

يقول سبينوزا في الردّ على استشهاد اليهود بتلك الأدلة أنَّ الله "إنما يتحدَّث على مستوى فَهم العبرانيين الذين لم يكونوا يَعرفون السعادة الحقيقية"[٢٠١].

بالإضافة إلى أنَّ العبرانيين ما كانوا ليحصلوا على سعادةٍ أقلَّ لو أنَّ الله دعا الناس جميعًا للخلاص، وأن الله لم يكن أقلَّ رعايةً لهم لو أنَّهُ أعطى الآخرين عونًا مُماثلًا لما أعطاه للعبرانيين، وما كان للشرائع أن تتهم بأنها أقل عدالة، وما كان العبرانيون

---

(١٩٦) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧١.

(١٩٧) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ ١٧١، ١٧٢.

(١٩٨) (تثنية٤: ٤).

(١٩٩) (تثنية ٤: ٧، ٨).

(٢٠٠) (تثنية: ٤: ٣٢).

(٢٠١) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٢.

يتهمون بأنهم أقل حكمة من غيرهم من الأمم لو أنَّ الشرائع وُضِعت للجميع، وأنَّ المعجزات لم تكن أبدا أقلَّ إظهارًا لقُدرة الله لو أنها ظهِرت لأُمَمٍ أُخرى، وما كان التزام العبرانيين بعبادة الله يبدو أقلَّ لو أن الله أعطى كلَّ هذه الهِبات جميع الناس على السواء من دون تخصيص لشعب بعينه[٢٠٢].

٣- أما ما ورد في استدلالهم بقول الله لسيمان النبي في سفر الملوك الأول: (هُوَذَا قَدْ فَعَلْتُ حَسَبَ كَلاَمِكَ، هُوَذَا أَعْطَيْتُكَ قَلْبًا حَكِيمًا وَمُمَيِّزًا حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِثْلُكَ قَبْلَكَ وَلاَ يَقُومُ بَعْدَكَ نَظِيرُكَ[٢٠٣]).

يقول سبينوزا في معرض إبطال تمسك اليهود بهذا الدليل أن هذا القول مُجرَّد طريقةٍ في الكلام تدلُّ على حِكمته العالية، وأن المعنى لا يتعدى ذلك، ولا ينبغي الاعتقاد بأنَّ الله كي يزيد سعادة سليمان النبي لن يُعطي إنسانًا غيرَه من الحِكمة بقدْر ما قسم لسليمان؛ لأن ذلك لن يزيد من ذِهن سُليمان -عليه السلام- شيئًا، وما كان هذا لسليمان الملك الفطن أن يقلل من ثنائه على الله لنِعَمه الكثيرة عليه، حتى لو أنَّ الله أنبأه بأنه سيُعطي الجميعَ حِكمةً مُماثلة أو ملكًا مماثلًا لملكه[٢٠٤].

ثانيًا: استدلال سبينوزا بالآيات الكتابية على أن الله يرعى جميع عباده بقدر متساوٍ، دون تمييز شعب على آخر، ومثال ذلك:

١- (الرَّبُّ قَرِيبٌ لِكُلِّ الَّذِينَ يَدْعُونَهُ، الَّذِينَ يَدْعُونَهُ بِالْحَقِّ[٢٠٥]).

٢- (الرَّبُّ صَالِحٌ لِلْكُلِّ، وَمَرَاحِمُهُ عَلَى كُلِّ أَعْمَالِهِ [٢٠٦]).

---

(٢٠٢) المرجع السابق.

(٢٠٣) (الملوك الأول ٣: ١٢).

(٢٠٤) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٢.

(٢٠٥) (مزمور ٤٥: ١٨).

(٢٠٦) (مزمور ٤٥: ٩).

٣- (لأَنَّهُ أَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لَهُ آلِهَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْهُ كَالرَّبِّ إِلهِنَا فِي كُلِّ أَدْعِيَتِنَا إِلَيْهِ؟[٢٠٧]).

ويرى سبينوزا أن وجه الاستدلال بالآية أن قُرب إله اليهود منهم لا يضاهيه ولا يماثله قرب أي إله آخر من الأمم المجاورة لليهود، ويفسر هذا القرب بأنه يرجع إلى مفهوم الدولة فقط، وفي الزمن الذي وقَعَت فيه حوادث مُعجزة كثيرة، أما فيما يرجع إلى الذهن والفضيلة، أي بالنسبة إلى السعادة والغبطة، فإن الله يرعى الجميع بقدْرٍ مُتساوٍ، كما قام عليه البرهان العقلي أيضًا[٢٠٨].

٤- استدلالهم بما ورد في سفر المزمور: (الْمُصَوِّرُ قُلُوبَهُمْ جَمِيعًا، الْمُنْتَبِهُ إِلَى كُلِّ أَعْمَالِهِمْ[٢٠٩]).

٥- استدلالهم بما ورد في سفر أيوب: (هُوَذَا مَخَافَةُ الرَّبِّ هِيَ الْحِكْمَةُ، وَالْحَيَدَانُ عَنِ الشَّرِّ هُوَ الْفَهْمُ[٢١٠]).

يقول سبينوزا في وجه الاستشهاد بالآية: "أن الله قد فرَضَ للجميع هذا القانون الذي يقضي بتعظيم الله وبالكفِّ عن الأفعال القبيحة، أي يقضي بالتَّوجُّه له بالفعل الصالح، ومن هنا أصبح أيوب وهو غير اليهودي، أحبَّ الجميع لله لأنه فاقَهم جميعًا في الوَرَع والتديُّن"[٢١١].

٦- ما ورد في سفر يونان أن يونس صلى إلى الرب (وَصَلَّى إِلَى الرَّبِّ وَقَالَ: «آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي

---

(٢٠٧) (تثنية ٤: ٧)

(٢٠٨) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٨.

(٢٠٩) (المزمور ٣٣: ١٥).

(٢١٠) (أيوب ٢٨: ٢٨).

(٢١١) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٩.

عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ[٢١٢])، ووجه الاستدلال بالآية: أن الله يرحم الجميع ويسامحهم ويرعاهم برعايته، وأن رحمته تَسَعُهم جميعًا، وأنه يغفر لجميع خطاياهم، دون أن يَقصُر ذلك الغفران على اليهود وحدَهم[٢١٣].

وينتهي سبينوزا في ذلك إلى أن الله ما دام يرعى الجميع على السوية، ولم يَختَرِ العبرانيين إلَّا من حيث وجودهم في مُجتمع زمني وفي دولة أخذت بعوامل وأسباب قيام الدولة [٢١٤].

ثالثًا: استدل سبينوزا بالآيات الكتابية على أن هبة النبوة لم تكن قاصرة على العبرانيين، وأن رحمة الله ولطفه شملت الجميع بإرسال الرسل، ومثال ذلك:

١- أن الله أرسل أخنوخ (وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ بَعْدَ مَا وَلَدَ مَتُوشَالَحَ ثَلاَثَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ .فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَخْنُوخَ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً، وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ[٢١٥]).

٢- أن الله أرسل نوحًا -عليه السلام- (وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، هذِهِ مَوَالِيدُ نُوحٍ: كَانَ نُوحٌ رَجُلًا بَارًّا كَامِلًا فِي أَجْيَالِهِ، وَسَارَ نُوحٌ مَعَ اللهِ[٢١٦]).

٣- وأن الله أرسل بلعام: فـ(أَرْسَلَ رُسُلًا إِلَى بَلْعَامَ بْنِ بَعُورَ، إِلَى فَتُورَ الَّتِي عَلَى النَّهْرِ فِي أَرْضِ بَنِي شَعْبِهِ لِيَدْعُوَهُ[٢١٧]).

---

(٢١٢) (يونان ٤: ١-٢).

(٢١٣) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٧٩.

(٢١٤) المرجع السابق.

(٢١٥) (تكوين ٥: ٢١ – ٢٤).

(٢١٦) (تكوين ٦: ٨،٩).

(٢١٧) (العدد ٥: ٢٢).

٤- وأن الله أرسل أنبياء عبرانِيّين لأُمَمٍ كثيرةٍ، ولم تقتصر إرسال الرسالة إلى العبرانيين وحدهم، ودليل ذلك:

أ- ("أن إرميا لم يُسَمَّ نَبيَّ الأمَّةِ العبرية وحدَها دون غيرها، ويقرر سبينوزا أنه نَبيٌّ لشعوب كثيرة، ولم تكن رسالته مقصورة على العبرانيين وحدهم[٢١٨]: (فَكَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ قَائِلًا: قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ، وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ، جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ[٢١٩]).

ب-(أَهْلِكَتْ مُوآبُ وَصَعِدَتْ مُدُنُهَا، وَخِيَارُ مُنْتَخَبِيهَا نَزَلُوا لِلْقَتْلِ، يَقُولُ الْمَلِكُ رَبُّ الْجُنُودِ اسْمُهُ، قَرِيبٌ مَجِيءُ هَلاَكِ مُوآبَ، وَبَلِيَّتُهَا مُسْرِعَةٌ جِدًّا[٢٢٠]).

ج- (مِنْ أَجْلِ ذلِكَ يُصَوِّتُ قَلْبِي لِمُوآبَ كَنَايٍ، وَيُصَوِّتُ قَلْبِي لِرِجَالِ قِيرَ حَارِسَ كَنَايٍ، لأَنَّ الثَّرْوَةَ الَّتِي اكْتَسَبُوهَا قَدْ بَادَتْ[٢٢١]).

ويقرر سبينوزا أن إرميا في تنبُّؤاته ندب مصائب الأُمَم كلَّها، كما تنبأ بخَلاصِهم وبخلاص المصريّين والأمُونِيّين والأَدومِيّين، ومن ثم استنتج سبينوزا أنه لا يوجد ثمة شك في أنَّ الأمم الأخرى كان لها أنبياؤها وأنهم تنبَّئوا كما تنبَّأوا لليهود [٢٢٢].

رابعًا: استدل سبينوزا بالآيات الكتابية على أن اختيار الله للعبرانيين لم يكن أزليًّا أبديًّا، ومثال ذلك:

١- أن موسى -عليه السلام- حذر بني إسرائيل من التعدي على وصايا الشريعة حتى لا تحل بهم اللعنات كما حدث للكنعانين قبلهم مما ورد في الوصايا: (وَلاَ تُضَاجِعْ ذَكَرًا

---

(٢١٨) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٨١.

(٢١٩) (إرميا ١: ٥).

(٢٢٠) (إرميا ٤٨: ١٥ – ١٦).

(٢٢١) (إرميا ٤٨: ٣٦).

(٢٢٢) ينظر: سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٨١.

مُضَاجَعَةَ امْرَأَةٍ، إِنَّهُ رِجْسٌ[23]، وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ بَهِيمَةٍ مَضْجَعَكَ فَتَتَنَجَّسَ بِهَا. وَلاَ تَقِفِ امْرَأَةٌ أَمَامَ بَهِيمَةٍ لِنِزَائِهَا، إِنَّهُ فَاحِشَةٌ، بِكُلِّ هذِهِ لاَ تَتَنَجَّسُوا؛ لأَنَّهُ بِكُلِّ هذِهِ قَدْ تَنَجَّسَ الشُّعُوبُ الَّذِينَ أَنَا طَارِدُهُمْ مِنْ أَمَامِكُمْ، فَتَنَجَّسَتِ الأَرْضُ، فَأَجْتَزِي ذَنْبَهَا مِنْهَا، فَتَقْذِفُ الأَرْضُ سُكَّانَهَا(٢٢٣)).

ويستشهد من ذلك أن موسى –عليه السلام– "قد حذَّر الإسرائيليين من تدنيس أنفسهم بنكاح المُحرَّمات، كما فعَلَ الكنعانِيُّون حتى لا تَلفِظَهم الأرض كما لفَظَت الأُمَم التي سكنَتْ هذه البلاد(٢٢٤)".

٢– أن موسى –عليه السلام– وعد اليهود بدمارهم وخراب ديارهم لتعديهم على وصايا الشريعة (وَإِنْ نَسِيتَ الرَّبَّ إِلهَكَ، وَذَهَبْتَ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى وَعَبَدْتَهَا وَسَجَدْتَ لَهَا، أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ أَنَّكُمْ تَبِيدُونَ لاَ مَحَالَةَ، كَالشُّعُوبِ الَّذِينَ يُبِيدُهُمُ الرَّبُّ مِنْ أَمَامِكُمْ كَذلِكَ تَبِيدُونَ، لأَجْلِ أَنَّكُمْ لَمْ تَسْمَعُوا لِقَوْلِ الرَّبِّ إِلهِكُمْ(٢٢٥)).

وقد ورد أن الكنعانيين أمة ذات حضارة، وقيم، وأنهم كانوا يستقبلون الرعاة اليهود، فأكرموا وفادتهم، وعاملوهم بتلطف ومسامحة(٢٢٦)، لكنهم لما تعدوا على حرمات الله، نزع الله منهم نعمة الأمان وأبدلها خوفًا وهلاكًا، ولما سلمت الوصايا لليهود وجاءت التحذيرات من حلول الغضب عليهم لتعديهم على وصايا الله ولم يرتدعوا فحاق بهم ما حاق بالكنعانيين السابقين عليهم، وعندئذ فإن تمسك اليهود ببقاء الاختيار تمسكٌ باطلٌ.

٣– أن الكتاب المقدس تحدث عن خراب أورشليم، فمما ورد في ذلك: (وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْوَقْتِ أَنِّي أُفَتِّشُ أُورُشَلِيمَ بِالسُّرُجِ، وَأُعَاقِبُ الرِّجَالَ الْجَامِدِينَ عَلَى دُرْدِيِّهِمِ، الْقَائِلِينَ فِي

(٢٢٣) (لاويين ١٨: ٢٢ – ٢٥).

(٢٢٤) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٨١.

(٢٢٥) (تثنية ٨: ١٩ – ٢٠).

(٢٢٦) كنعان، جورجي، مفهوم الألوهة في الذهن العربي القديم، صـ٢٥٨.

قُلُوبِهِمْ: إِنَّ الرَّبَّ لاَ يُحْسِنُ وَلاَ يُسِيءُ، فَتَكُونُ ثَرْوَتُهُمْ غَنِيمَةً وَبُيُوتُهُمْ خَرَابًا، وَيَبْنُونَ بُيُوتًا وَلاَ يَسْكُنُونَهَا، وَيَغْرِسُونَ كُرُومًا وَلاَ يَشْرَبُونَ خَمْرَهَا، قَرِيبٌ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمِ، قَرِيبٌ وَسَرِيعٌ جِدًّا، صَوْتُ يَوْمِ الرَّبِّ، يَصْرُخُ حِينَئِذٍ الْجَبَّارُ مُرًّا، ذلِكَ الْيَوْمُ يَوْمُ سَخَطٍ، يَوْمُ ضِيق وَشِدَّةٍ، يَوْمُ خَرَابٍ وَدَمَارٍ، يَوْمُ ظَلاَمٍ وَقَتَامٍ، يَوْمُ سَحَابٍ وَضَبَابٍ، يَوْمُ بُوق وَهُتَافٍ علَى الْمُدُنِ الْمُحَصَّنَةِ وَعَلَى الشُّرُفِ الرَّفِيعَةِ[٢٢٧]).

ووجه الاستشهاد بهذه الآيات كما قرره سبينوزا أنها تدلُّ صراحةً على أنَّ الله لم يَختَرْ أمَّةَ العبرانيين إلى الأبد وبصورة مُطلقة[٢٢٨].

٤- (وَأُبْقِي فِي وَسَطِكِ شَعْبًا بَائِسًا وَمِسْكِينًا، فَيَتَوَكَّلُونَ عَلَى اسْمِ الرَّبِّ، بَقِيَّةُ إِسْرَائِيلَ لاَ يَفْعَلُونَ إِثْمًا، وَلاَ يَتَكَلَّمُونَ بِالْكَذِبِ، وَلاَ يُوجَدُ فِي أَفْوَاهِهِمْ لِسَانُ غِشٍّ؛ لأَنَّهُمْ يَرْعَوْنَ وَيَرْبُضُونَ وَلاَ مُخِيفَ[٢٢٩]).

ويبين سبينوزا أنه لما كان الله سيُهلك الأغنياء ويُبقي على الفقراء، ومن غير المعقول أن يقال إن الله وعد الأتقياء اليهود وحدهم واستبعد وقاية غير اليهود، وطالما قد ثبت أن جميع الأُمَم كان لها أنبياؤها، فيستنتج أنهم قد وعدوا المؤمنين من أُمَمِهم بهذا الاختيار ذاته[٢٣٠].

٥- (لأَنِّي حِينَئِذٍ أُحَوِّلُ الشُّعُوبَ إِلَى شَفَةٍ نَقِيَّةٍ، لِيَدْعُوا كُلُّهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ، لِيَعْبُدُوهُ بِكَتِفٍ وَاحِدَةٍ، مِنْ عَبْرِ أَنْهَارِ كُوشٍ الْمُتَضَرِّعُونَ إِلَيَّ، مُتَبَدِّدِيَّ، يُقَدِّمُونَ تَقْدِمَتِي، فِي ذلِكَ الْيَوْمِ لاَ تَخْزَيْنَ

---

(٢٢٧) (صفنيا ١: ١٢- ١٦).

(٢٢٨) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٨٧.

(٢٢٩) (صفنيا ٣: ١٢ – ١٣).

(٢٣٠) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٨٧.

مِنْ كُلِّ أَعْمَالِكِ الَّتِي تَعَدَّيْتِ بِهَا عَلَيَّ؛ لأَنِّي حِينَئِذٍ أَنْزِعُ مِنْ وَسَطِكِ مُبْتَهِجِي كِبْرِيَائِكِ، وَلَنْ تَعُودِي بَعْدُ إِلَى التَّكَبُّرِ فِي جَبَلِ قُدْسِي[٢٣١]).

ووجه الاستشهاد بهذه الآيات: أن الأنبياء قدَّموا إلى أممهم هذا العزاء نفسه؛ ولذلك فإنَّ هذا المِيثاق الأزلي لمعرفة الله وحُبِّه هو مِيثاق عام وشامل، وأنه لا يوجد مسوغ للتفرقة في ذلك بين اليهود وغيرهم، ولا يوجد ثَمَّة مخصص يدل على تخصيص اختيار اليهود سوى ما تم عرضه[٢٣٢].

تعقيب:

بعد أن قارع سبينوزا اليهود بالبراهين العقلية الفلسفية والبراهين الكتابية بما لا يدع مجالًا لذي يعقل إلا أن يتدبر هذه الأدلة ليستبصر طريقه، ويعمل عقله فيما يملى عليه من دون سند أو دليل، إلا إن اليهود لم يعبأوا بتلك البراهين –على الرغم من تضافرها ووضوح دلالتها– ولم يعيدوا كرة الفكر عسى أن يصلوا إلى الحقيقة لكنهم غلبتهم جبلتهم المتكبرة، وطغى عليهم عنادهم وقسوة قلوبهم عن الإذعان للحقيقة، فازدادوا غطرسة عندما اتهموا بالعنصرية الدينية، فصرَّحوا بأنَّ من يتهمهم بالعنصرية أو بالنخبوية في أنهم شعب الله المختار أنه يمكن لأي شخص ينحدر من أي عرق أو جنس أو من أي خلفية أن يتحول إلى اليهودية، وأن يصبح واحدًا من الشعب المختار؛ ولهذا يقررون بأن فهم اختيار الله لإسرائيل أمرٌ أساسيٌّ لوجود أساس متين في خطة العناية الإلهية[٢٣٣].

ومن الطرق المبالغة في العناد والكبر التي يعلل بها اليهود فكرة اختيار الله لهم لتمثيله، وأنه بهذا الاختيار يمد يده إلى العالم باختيار إسرائيل بدءًا من إبراهيم، ويضربون

---

(٢٣١) (صفنيا٣ : ٩ – ١٢).

(٢٣٢) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٨٧.

(233) Article: Is the Jewish people still the chosen people? https://free.messianicbible.com/feature/abraham-chosen-people/ تمت زيارته في ٣٠/ ١١/ ٢٠٢١م

لذلك مثلًا بالتكليف الذي يقوم رؤساء الدول باتخاذه لاختيار مجموعة من السفراء لتمثيله، ومع هذا الاختيار تأتي مسؤولية كبيرة يتحملها المختارون لتمثيل رئيسهم كأفضل ما يكون والتعبير عن الأفكار بشكل صحيح وتنفيذ خططه وسياساته التي رسمها لهم، وأنهم لا يفعلون ذلك لمصلحة الرئيس فقط، بل يعمل الرئيس والسفراء معًا لخدمة البشرية على وجه الأرض، كذلك الله في اختياره إسرائيل[٢٣٤]، فهم عونٌ له لخدمة البشرية!

ولكن أين البرهان العملي المشاهد على أنَّ الله اختار اليهود حتى يدموا البشرية؟! وما الخدمة التي قدموها للبشرية حتى تستقيم دعواهم على دليل معقولٍ؟!

والأغرب من هذا أن اليهود زعموا أنه على الرغم من طرد إسرائيل من أرض الموعد، وتشتتهم بين الأمم، وعصيانهم لله، وارتكابهم المحرمات رغم كل هذا إلا إنه لا يزال مخلصًا لإسرائيل!!! "ليس لأنهم شخص مميز، ولكن لأنه –الله– مميز في وسطهم[٢٣٥]".

وأشد من هذا غرابة أنَّ اليهود المعاصرين يتمسكون ببقاء الوعد الإلهي –حسب زعمهم– ويعللون ما ورد في الكتاب المقدس في إخباره مرارًا وتكرارًا بأن الله نظر إلى إسرائيل على أنَّها شعب عاص، عنيد، ليس فيه هوادة أو لين، فيزعمون أن الله يعلم خصالهم الذميمة، ويعلم يقينًا أي نوع من الناس سيكونون.

فيعللون عدم اختيار الله لشعب مطيع متواضع لين القلب يسهل عليه الانصياع للأمر الإلهي، فينفذ وصايا الله كما يريد الله فاختار شعبًا على النقيض من تلك الصفات وقد اجتمعت فيهم أخس وأحقر الصفات حتى تتحقق في اختيارهم محبة الله الدائمة لهم،

(234) Ibid.

(235) Hershey. Doug: Why are the Jews God's Chosen People? Biblical teachings on Israel. https://firmisrael.org/learn/why-are-the-jews-gods-chosen-people/

وصبره عليهم، ومغفرته لهم، ونعمته عليهم، وحلمه بهم، فيزعمون زورًا وبهتانًا أنه لا يوجد حد لمحبة الله ومغفرته ورحمته، فهو مخلص إلى الأبد لوعده في اختيار شعبه[٢٣٦]!

والسؤال الآن: ما نوع الخدمة التي قدمها اليهود للبشرية حتى تثبت صحة دعواهم؟ إن المجتمعات لم تجن من وجودهم إلا المؤامرات والتخريب والفتن؟! فهم يميلون إلى العزلة والتقوقع على الذات، ويكنون البغض في قلوبهم لجميع شعوب الأرض، فبادلتهم الشعوب المضيفة لهم الشعور نفسه، فتأججت الكراهية والبغضاء بما رأوه من معاملاتهم وحقدهم عليهم.

هل تناسى اليهود أنه لن يكون عهد مع الله إلا بطاعة حقيقية، وتنفيذ لوصاياه، وهذا لم يتحقق فيهم قطعًا، فهل يعقل أن يختار الله من كتب عليهم الذلة والمسكنة والشتات في الأرض؟!، أو من حل عليهم الغضب والمقت ليكونوا سفراءه، وهل يصلح اليهود في خُلُقهم أن يتم من خلالهم وصل الانقطاع الذي حدث بين الله وبين خلقه منذ خروج آدم من جنة عدن – كما يزعمون–، أم خفي عنهم أن الله أرسل الأنبياء والرسل منذ آدم إلى موسى –عليهم السلام–، وأن رسالة السماء لم تنقطع عن الأرض لتتوقف على اختيار الله لليهود حتى يكونوا له رسلًا يتم بهم وصل القطيعة بين السماء والأرض منذ نزول آدم من الجنة، وهل الله في حاجة لمعونة اليهود أو غيرهم حتى يحقق مراده في خلقه؟ تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

ويظهر من هذا تهافت فكرة الخلاص في صبغتها اليهودية باسم الشعب المختار، والقول بأبدية وعد الله لليهود بأنهم شعبه المختار فهذا ادعاء باطل، وكذب صريح، وحجة واهية لبسط الهيمنة على شعوب الأرض، والتسلط عليهم باسم وعد لم يوفوا به، ولم يحققوا أركانه، بل كانوا أول كافر به، كما قال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ

---

(236) **Ibid.**

عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢)) (البقرة: ٤٠ – ٤٢).

ولقد ذكر موسى –عليه السلام قومه بأن ميراث الأرض ليس أزليًّا أبديًّا، ولكنه متوقف على من يختاره الله من عباده، قال تعالى: (قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (الأعراف: ١٢٨).

ولقد كذبهم الله في مواضع كثيرة في تجرؤهم وافترائهم على الله تعالى، مثلما ادَّعوا أنَّهم لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودة، وأن هذا المسَّ لا يكون إلا تحلة القسم، قال تعالى: (وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (البقرة: ٨٠) فليأتوا برهانهم وحجتهم على صدق مدعاهم، أم أنهم يفترون على الله الكذب ويقولون ما لا يعلمون.

بل إن الله تعالى وبخهم في مواضع كثيرة لما يفترونه من كذب عليه سبحانه، كما قال تعالى: (وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) (آل عمران: ٢٤).

إن فكرة التفوق العرقي أو القومي تمارس نوعًا من العنصرية، والانقسام البغيض، وتولد الشك والكراهية، فمع ظهور المسيحية، وصعود الكنسية لتحل محل الكنيس اليهودي، أصبح الاختيار مسألة جدلية بين الجانبين؛ مما جعل اليهود يكثفون جهودهم في نشر وتأصيل عقيدة الاختيار، وأنهم الأحق به بلا منازع، فأصبحوا يتعامون مع الموضوع كأيديولوجية، أو كقضية واجبة النفاذ والانصياع، وأنهم ظنوا أن الناس ليس عليهم إلا الرضوخ والإذعان لهذا الاختيار الأزلي، وليس أمامه إلا التسليم، ولا يحق لأي أمة أن تنازعهم في هذا الاختيار؛ لأنهم ختموه بخاتم اختيار الله لهم دون ما عداهم.

وفي ظل هيمنة المسيحية على اليهود قامت بنشر فكرة الخلاص كدليل على التمايز على اليهودية، ورفض فكرة أبدية الاختيار اليهودي، وعدم الأحقية في الأرض

الموعودة، فحلَّت إسرائيل الجديدة (الكنيسة) والخلاص محل الاختيار القديم، واستبدل العهد القديم بالعهد الجديد، والشعب المختار بالكنيسة، وقد حدث جدال ومناظرات بين الجانبين مثلما قال أحد المسيحيين للحاخام حنينا: "الآن بعد أن هُدم هيكلك ولا يمكنك أن تتطهر من نجاساتك، فأنت تنجس ولم يعد الله يسكن بينكم"، فرد الحاخام مكتوب عندنا في كتابنا: (بَيْنَهُمْ فِي وَسَطِ نَجَاسَاتِهِم [٢٣٧][٢٣٨]).

وقد وسع اليهود هوة الخلاف في عدم الاعتراف بنبوة من خارج اليهود، اللهم إلا قلة قد وافقت بشرط اتباع وصايا نوح السبعة، مع جعل هذه الرسالة خاصة بالقوم الذين أرسل فيهم هذا النبي، ويقصدون بهذا المسيحية والإسلام، أما بالنسبة للمسيحية فقد هدأت الخلافات والشقاقات بعد بيان الفاتيكان واعتماد وثيقة المصالحة عام ٢٠٠٢ في عهد البابا بنديكتوس السادس عشر، والتي حملت عنوان: الشعب اليهودي والكتب المقدسة في الكتاب المقدس المسيحي، وقد نصت الوثيقة على أن الكاثوليك يجب أن ينظروا إلى العهد القديم على أنه "يحتفظ بكامل قيمته، ليس فقط كأدب، ولكن بقيمته الأخلاقية"[٢٣٩].

([٢٣٧]) (لاويين ١٦:١٦).

([238]) Rabbi Gilbert S: Rosenthal. Some are chosen , all are loved.

([٢٣٩]) ورد في مقال: "هل الشعب اليهودي ما زال شعب الله المختار؟": أن المسيحيين ربما من منطلق التفوق أو الغيرة أو التدين، جعلت أعضاء الكنيسة يدعون أنهم "إسرائيل الحقيقية"، وأخرجوا الله من هويته الثابتة كإله إبراهيم وإسحق ويعقوب. ومن المفارقات أن إدانتهم الجارحة للشعب اليهودي لاستخفافه بأن يسوع هو المسيح المخلص لإسرائيل، مما دفع الكنيسة إلى إهمال الله باعتباره إله إسرائيل، مما جعل اليهود يتمسكون بأن الله لم ينه علاقته بإسرائيل، ولم يتخل عن عهوده مع شعبه المختار؛ لاعتقادهم أنه إله حفظ العهد، وأنه صادق في كلمته، وأنه ليس إنسانًا ليغير رأيه.

Are the Jewish People Still the Chosen People?
https://free.messianicbible.com/feature/abraham-chosen-people/

وفي طريق حرب اليهود الفكرية ضد من ينازعهم في عقيدة الشعب المختار، مما جعل اليهود المعاصرين يلقون التبعة على حاخامات اليهود وعلمائهم في العصور الوسطى؛ لأنهم لم يؤصلوا فكرة الشعب المختار تأصيلًا جيدًا، ولم يقوموا بالرد على الأمميين، وخطأوا موسى بن ميمون؛ لأنه لم يدرج الاختيار ضمن الثلاثة عشر مبدأً للإيمان، في كتابه دلالة الحائرين، ولما أسقط في أيديهم أمام الأدلة الراسخة الشامخة في القرآن والسنة بشأن عموم رسالة النبي صلى اله عليه وسلم، وما ورد في القرآن من أدلة تبكت اليهود على عصيانهم وتحريفهم لكتابهم، وافترائهم الكذب على الله، وتبديلهم شرعه، وعدم اتباعهم أوامر موسى عليه السلام إلى غيرها من الآيات الدالة على عدم صلاحية اليهود ليكونوا شعبًا مختارًا قاموا بالافتراء على الإسلام، وأنهم غير مخاطبين به؛ لكن سرعان ما تتلاشى تلك الآراء أمام آراء أخرى منصفة مثل: "إن الفكرة القائلة بأن الله ساعد محمدًا في مهمة تحويل شعب الجزيرة العربية من الوثنيين عباد الأوثان إلى مؤمنين توحيديين قد يكون معقولًا".

- شهادة اليهود تشهد بفضل الإسلام، وتبطل زعمهم بأنهم الشعب المختار.

في الآونة الأخيرة نادى المجتمع الدولي بضرورة الحوار بين الأديان خصوصًا الأديان التوحيدية، لانتشال الإنسانية مما حاق بها من قطيعة وحروب وعداوة ومشاحنات، وضرورة الابتعاد عن دعاوى العنصرية، وتضخيم الذات، التي لا ينتج عنها إلا الكراهية وتوسيع فجوة الصراع بين الشعوب، فتصاعدت دعوات يهودية للاستجابة لهذا المتطلب الإنساني، فكتبوا عن الحوار الإسلامي اليهودي[٢٤٠]، وأن الإسلام ضروري لمستقبل اليهودية، واستشهدوا على ذلك بما كان للإسلام من فضل في إعادة إحياء اليهودية في القرن الثالث عشر، واستدلوا بأقوال الحاخام إبراهيم بن ميمون ابن الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون،

(240) Philmus.Aaron. In the House of Ishmael. https://www.sefaria.org/sheets/26635?lang=bi

عندما رأى اليهودية في عصره تعاني من حالة من التدهور مقارنة بالعصر الذهبي للمملكة اليهودية، واستحضار تعاليم الكتاب المقدس والتلمود، ففكر في طريقة لإحياء اليهودية وانتشالها من الحالة المتردية التي عانت منها لقرون عددًا عانت فيها العبادات اليهودية من الجفاء، وافتقدت إلى خطاب الروح، فرأى أنه لا يمكن استعادتها إلا باتباع الممارسات والعبادات الإسلامية، والتي جعلته يستحضر في ذهنه الممارسات والسلوكيات اليهودية الأصلية، فاستخدم مهاراته – بقدر ما يستطيع– لخلق إحياء وتجديد ديني يسعى إلى التنوير المستوحى من المتصوفة المسلمين، وذلك لانتشال اليهودية من أزمتها الدينية بعد سنوات من الشتات والنفي والتشريد في الأرض[٢٤١].

وقد أدَّى هذا إلى تأثر الحاخامات بدعوة إبراهيم بن ميمون، فشاركوا في تلك المهمة الدينية لإحياء العبادات اليهودية، وألزموا المريدين بسلوك طريق لتهذيب النفس وتطهير القلب، ودربوهم على الصوم المنتظم، والصلاة المنفردة، تحت إشراف أحد الحاخامات[٢٤٢]، مع ضرورة ضم المتعبدين في جماعات روحية، بعد أن كانوا مشرذمين، مبتعدين عن العبادات والاجتماعات الروحية التي حرموا منها بسبب ما قضوه من شتات، وفي هذا شهادة بفضل الإسلام على ما تم من إحياء للعبادات اليهودية، ودلالة على تأثر

---

(٢٤١) اقترح الحاخام إبراهيم بن ميمون بعض التغييرات على العبادات داخل الكنيس؛ لتعزيز تقوى المتعبدين اليهود، وجعل الخدمة أكثر انسجامًا مع التقوى الإسلامية، وشملت هذه الممارسات غسل اليدين والرجلين قبل الصلاة، والركوع في الكنيس والترتيب في صفوف منظمة كما هو الحال في مساجد المسلمين، والسجود الكامل عند الركوع في العادة اليهودية، والسجود في نهاية كل مزمور، ورفع اليدين إلى السماء في بداية كل فقرة. Philmus.Aaron. In the House of Ishmael.

(242) Ibid.

اليهود بالسلوك الصوفي الإسلامي، وفي هذا أكبر دليل على أن اليهود عانوا لقرون متواصلة من رقة الديانة ومن الجهل بالدين، واندثار معالمه الصحيحة بسبب شتاتهم، مما يدل على افتقارهم إلى مقومات الاختيار من عبادة الله ولزوم وصاياه، بالإضافة إلى افتقادهم المجتمع الآمن، وأن هذا لم يتحقق إلا في ظل سماحة الإسلام، في قبوله التعددية واحترام الآخر.

وفي الخطوات التي اتخذها إبراهيم بن ميمون لتجديد العبادات اليهودية بعدما أصابها من جفاء ووحشة روحية، وأن ما بقي من ميراث العبادات لا يكفي لسد ظمأ القلوب المتعطشة لدينها، فلجأ إلى التأثر بعبادات المسلمين وسلوك الصوفية، وفي هذا أكبر دليل على أن الشتات الذي أصاب اليهود جعلهم في وحشة وغربة، وجهل بالدين، وجفاء روحي، وهذا يؤيد ما ذكره سبينوزا أنه لم يبق من شرائع اليهود إلا الختان؛ لأن منهم من خضع للدخول في الكاثوليكية الرومانية، بعدما أجبروا على الدخول في ديانة الدولة؛ ليحظوا بالامتيازات التي امتاز بها الأسبان، وتخلّوا في المقابل عن يهوديتهم، ولم يبق لهم حتى ذكرى أنهم كانوا يهودًا، وفريق آخر عاش في البرتغال ورفضوا تغيير دينهم فأجبروا على العيش في عزلة، وتم تجريدهم عن أية مناصب، أو الالتحاق بالتعليم، فأصيبوا برقة في دينهم بسبب ما عانوه من جهل، ولم يبق فيهم من الشريعة إلا التمسك بطقس الختان، يقول سبينوزا: "وأنا أعزو إلى طقس الختان بدَوره من القِيمة والأهمية في هذا الصَّدَد ما يجعلني أعتقِد أنه وحدَه يستطيع أن يضمَنَ لهذه الأمة اليهودية وجودًا أزليًّا، فإذا لم تُضعِف مبادئ دينهم ذاتها قلوبهم، فإني أعتقد بلا أدنى تحفُّظ، عالمًا بتقلُّبات الأمور الإنسانية، بأنَّ اليهود سيُعيدون بناء إمبراطوريتهم في وقتٍ ما، وأن الله سيختارهم من جديد[٢٤٣]"، وهذه الجملة ساقها سبينوزا على سبيل التهكم والسخرية من قوم فقدوا

(٢٤٣) سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، صـ١٨٩.

هويتهم الدينية، وجهلوا شريعة ربهم، وتبدل حالهم، فكيف يتحقق فيهم أنهم شعب الله المختار؟!

والبون شاسعٌ بين ما لاقاه اليهود على يد محاكم التفتيش وملوك الإمبراطورية الرومانية، وبين ما حظوا به من امتيازات في ظل الدولة الإسلامية، من تولٍّ لأرفع المناصب، والتعليم في المدارس، وممارسة الشعائر، بما ضمن لهم البقاء والعيش في حياة تسودها الحرية وحق المواطنة، والتي لم تعرفها أوروبا إلا مؤخرًا.

***

خاتمة البحث

وفي ختام هذا البحث "براهين سبينوزا الفلسفية والكتابية في إبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار" توصلت إلى النتائج الآتية:

١- أن سبينوزا هو الديكارتي الوحيد الذي استطاع أن يُطبِّق المنهج الديكارتي تطبيقًا حقيقيًّا في المجالات التي استبعدها ديكارت من منهجه، خاصةً في مجال الدين، كما أنه طبَّق منهج الأفكار الواضحة والمُتميزة في ميدان الدين والعقائد.

٢- أنه إذا وصف موقف ديكارت من رجال الدين بأنه كان موقفًا ذكيًّا، اتخذه لمهادنتهم، وحتى يقوم باحتوائهم من الداخل، من دون أن يصطدم بهم أو بالسلطة، ولكن يكفيه أنه وضع قنبلة فكرية موقوتة قام سبينوزا بتفجيرها في العصر الحديث، فيما أثاره من قضايا شائكة أرقت مضاجع الحاخامات، وتناثرت شظاياها في جميع الأوساط الفكرية الأوروبية طولًا وعرضًا، ومن ثم عُدَّ سبينوزا بأنه أوَّل من شيد مدارس النقد الأعلى في أوروبا.

٣- أن من أهم الأسباب التي جعلت حاخامات اليهود ينقمون من سبينوزا، ويلعنونه ويصدرون مرسومًا بطرده، عندما أعلن بأنه لا يوجد دليل معقول أو منقول من الكتاب المقدس يؤيد دعوى اليهود في قولهم بأزلية وأبدية أنهم "شعب الله المختار".

٤- أن لمفهوم اختيار الرب لبني إسرائيل في اعتقادهم وتمييزه لهم على سائر الشعوب أثره الذي انعكس في تضخيم الذات والاستعلاء على سائر الشعوب والأجناس والأعراق.

٥- أن عقيدة الشعب المختار عند اليهود وثيقة الصلة بأرض المعاد لإيمانهم بأن هذا وعد إلهي خاص لشعب إسرائيل.

٦- أن مسألة الاختيار من أهم المسائل في اليهودية، وفي تكوين الشخصية اليهودية، بل إنها تفسيرٌ لإستراتيجية اليهود في تعاملهم مع الأمم والشعوب الأخرى.

٧- يعتقد اليهود أن الاختيار امتداد للعهد الذي أخذه الرب مع إبراهيم، فيعتقدون أن اختيارهم تم منذ فترة الآباء.

٨- يعتقد اليهود أن الاختيار كان سببًا لبقاء إسرائيل، وتغلبهم على كراهية وبغض الشعوب لهم، فاليهود يرون أن في بغض الشعوب وكراهيتهم لهم أقوى دليل على أنهم الشعب المختار.

٩- يعتقد اليهود الإصلاحيون أن الله اختار أمة إسرائيل لأن يسوع المسيح سيخرج منهم؛ ليخلص البشرية من الخطيئة.

١٠- أن للشريعة الشفهية النصيب الأوفى في زرع فتنة تعظيم الذات عند اليهود، وقد تجلت العنصرية في كثيرٍ من مواضع التلمود، مثل تقسيم سكان العالم إلى قسمين: إسرائيل من جهة، والأمم الأخرى مجتمعة من جهة أخرى، والذين وصفهم التلمود بالوثنيين أو الأمميين.

١١- أن اليهود عاشوا حياة رغد أثناء فترة الحكم الإسلامي لبلاد الأندلس، وأنهم كانوا ينعمون بكل أسباب المواطنة والتعايش المجتمعي دون عنصرية أو تمييز فتولوا أرقى المناصب وأرفعها، وبعدما سقطت الأندلس تبدل حالهم إلى اضطهاد وقتل وممارسات عنصرية، لقبها اليهود بفترة الشتات الثاني، وأنهم في تلك المأساة لم يجدوا إلا التسلية والتصبر بأنهم الشعب المختار.

١٢- أن اليهود بعد هجرتهم إلى أمريكا قاموا بتأسيس مركز الشعب المختار؛ لخدمة الجالية اليهودية، وسرعان ما تحول هذا الكيان إلى مركز دولي له أنشطة عديدة تهدف إلى تأصيل اسم المركز، وعقد شراكات مع الطوائف المسيحية لدعم عقيدة الشعب المختار.

١٣- أدى اشتعال النعرات العنصرية والقومية باسم الشعب المختار إلى احتدام الأزمة بين الألمان أصحاب الجنس الآري، وبين اليهود أصحاب الجنس السامي، إبان الحربين العالميتين، خصوصًا مع سيادة الحكم النازي.

١٤- أن اليهود كان لهم دورٌ في الأزمة مع الألمان عندما أججوا نار العنصرية بأنهم الشعب المختار، وأن تفضيلهم ليس بحسب الدين وإنما بسبب العرق، والصفات البيولوجية والتي أججها موسى هس، ومارتن بوبر، مما دفع الألمان من منطلق الحفاظ على عرقهم بالتضييق على اليهود بإنشاء الغيتوات، والانتقام منهم فيما يعرف بالهلوكوست.

١٥- أن اليهود الإصلاحيين وعلى رأسهم مردخاي كابلان قاموا بتأويل معنى الاختيار، وذلك لامتصاص غضب الجماهير الغربية لعقيدة اختيار الله لشعب إسرائيل، ولتجنب الاصطدام بالمسيحيين الأوروبيين والأمريكيين بزعمهم أنهم أيضًا شعب الله المختار، وأن الاختيار ليس حكرًا على اليهود وحدهم.

١٦- أن اليهود الأصوليين أعلنوا من دون مواربة أنهم شعب الله المختار، وقاموا بالرد على المشككين في ذلك، وأنهم أرجعوا الاختيار إلى العرق والتكوين البيولوجي الذي يتمتع به اليهودي.

١٧- أن اليهود يستغلون الحروب ضدهم للترويج لفكرة أنهم ما حوربوا وما اضطهدوا إلا لحقد الأمم عليهم، ولولا أنهم شعب مختار، لما استحقوا هذه الكراهية والبغضاء والعداء من الشعوب الأخرى.

١٨- أن عقيدة الشعب المختار لها دور مهم في تكوين الشخصية اليهودية المعاصرة، وأن إسرائيل ضمنت ذلك في مقرراتها الدراسية، لتربية الأجيال على تقديس تلك العقيدة.

١٩- أن سبينوزا أول فيلسوف في عصر الحداثة ناقش مسألة الاختيار مناقشة فلسفية، وبين حقيقة الاختيار.

٢٠- أن سبينوزا ساق الأدلة التي أبطل بها مزاعم اليهود أنهم شعب الله المختار، وقام بترتيبها على مقدمات ونتائج منطقية، وكان على المعارض أن يناقش تلك الأدلة بموضوعية، ويردها بالدليل.

٢١- استطاع سبينوزا بعقليته الفلسفية أن يُبرهن على أنَّ اليهود ليسوا شعب الله المُختار كما يظنُّون عادة، واعتمد في ذلك على الحُجَج الفلسفية والنقليَّة الكتابية، ليقارعهم بالحجة والبرهان.

وقبل أن يتطرق سبينوزا إلى الرد على أدلة اليهود وإبطال زعمهم بأنهم الشعب المختار قام بتحرير محل النزاع في المسألة وقد استخدم التحليل المنطقي في بيان المصطلحات ومدلولاتها، ففام بالتفرقة بين حكم الله، وعون الله الخارجي والداخلي، واختيار الله، والحظ.

٢٢- بين سبينوزا أن الاختيار لا يخرج عن الأخذ بأسباب قيام الدولة وتماسكها وأنه كان مقصورًا في مدة زمنية وليس على الإطلاق كما يتوهم العبرانيون، وأنهم لما تخلوا عن أسباب العمران وأركان قيام مجتمع قوي متماسك صاروا مثل الأمم المتهالكة التي كتب عليها الخراب والزوال.

٢٣- بين سبينوزا أن دعوى أفضلية اليهود على غيرهم وزعمهم بأنهم الشعب المختار لا تنشأ إلا من الحسد، ومن قلب حاقد، وأن من يفعل هذا يجهل السعادة والنعيم الحقيقي.

٢٤- مما قرره سبينوزا في الرد على اليهود: أنَّ الهناء الحقيقي وسعادة الإنسان لا يكونان إلَّا في الحكمة وحدَها ومعرفة ما هو حق، ولن يقر عاقل من العقلاء أن تلك السعادة والهناء الحقيقي لا يمكن تحققهما إلا عندما يتيقن الإنسان بأنه أحكَمَ من

الآخرين أو عندما يحرم الآخرون من الحكمة؛ لأنَّ هذا لن يزيد من هنائه الحقيقي، ولن يرفع من قدر حكمته الخالِصة، وأن من يفرَح لذلك يفرَح لشقاء الآخرين ويكون حَسودًا شريرًا لا يعلم الحِكمة الحقيقية أو طمأنينة الحياة الحقة.

٢٥- أن اختيار الله للعبرانيين وتفضيلهم على سائر الأمم، لا يرجع إلى حكمتهم ولا إلى طمأنينة قلوبهم بما وصلهم من الشريعة، وإنما يرجع إلى النظام الاجتماعي وإلى الحظِّ الذي حقق لها قيام دولة، وحفظها مدة رعاية الله لهم تحقيقا لوعده، وهذا مرهون بحفاظ الأمة على أمنها وسلامتها، فيزول الاختيار بزوال ذلك، ومن ثم فالاختيار مرهون بشرط وبزمن وقد زالا.

٢٦- أن الله لم يختر اليهود لحكمتهم؛ لأن الثابت أنهم كانت لدَيهم مُعتقدات مخالفة بعيدة كل البعد عن وصايا الله وتشريعاته؛ كذلك لم يخترهم من أجل الفضيلة والحياة الحقَّة، لأنهم كانوا في هذا الأمر على قدَم المساواة مع باقي الأُمَم، ولم يقَع الاختيار إلَّا على قليلٍ منها؛ وعلى ذلك، فقد تَمَّ اختيارهم وأُعطوا رسالةً من أجل الازدهار الدُّنيوي لدَولتِهم، ومن أجل مزاياهم المادية فقط، وليس لتميز في الحكمة أو الفضيلة.

٢٧- أن الكتاب المقدس لم يتوعد اليهود عند مخالفتهم الشريعة إلا بزوال دولتهم وانهيارها، وما يتعبه من تخريب وشرور، وأنهم عند حلول الوعيد بهم زال اختيارهم.

٢٨- أنَّ اختيار الله لليهود كان يتعلَّق بالنِّعَم الدنيوية الجسدية وبالحرية، أي بوجود الدولة، وطُرُق إقامتها ووسائل بقائها فقط، وبالقوانين الضرورية لإقامة هذه الدولة الخاصة، وأخيرًا بالطريقة التي أُوحِيَت بها هذه القوانين، وفيما عدا ذلك ممَّا يكون القيمةَ الحقيقية للإنسان، فلم يتميَّز اليهود على غيرهم بشيء.

٢٩- أن الله لما كان رحيمًا لطيفًا بجميع عباده، وأن مهمة النبي أقربَ إلى تعليم الفضيلة الحقَّة وتهذيب البشر منها إلى تعليم القوانين الخاصَّة بالوطن، فلا شكَّ أنَّ جميع

الأمم كان لها أنبياء، وأنَّ هِبَةَ النبوَّة لم تكن قاصِرة على العبرانيين. وهذا ما يشهد به التاريخ الدِّيني والتاريخ الدُّنيَوي على السواء.

٣٠- أنه لا يجوز لليهود التمسك بأنهم الشعب المختار اعتمادًا على تاريخهم الطويل وأسبقيتهم عن أمم اللاحقة، وأن هذا يحسب عليهم وليس لهم؛ لأن الأمة العبرية ضاعت دولتها واستبيحت أرضها، وليس في ذلك أدنى شك أو مواربة.

٣١- استدل سبينوزا بعدة أدلة كتابية استخلصها من العهد القديم لإبطال زعم اليهود بأنهم شعب الله المختار، وليثبت أن استدلال اليهود على أزلية وأبدية الاختيار ليس حقيقة ميتافيزيقية، وإنما هو في حقيقته مستمد من ظروف خاصة ولفترة محددة في تاريخ إسرائيل القديم، ولا يجوز إطلاقه أو الحكم بسريانه على مدى الزمان والآجال.

٣٢- أن سبينوزا بعد أن قارع اليهود بالبراهين العقلية الفلسفية وبالبراهين الكتابية بما لا يدع مجالًا لذي عقل إلا أن يتدبر هذه الأدلة ليستبصر طريقه، ويعمل عقله فيما يملى عليه من دون سند أو دليل، إلا إن اليهود لم يعبأوا بتلك البراهين، وأنهم غلبتهم جبلتهم المتكبرة، وطغى عليهم عنادهم وقسوة قلوبهم عن الإذعان للحقيقة.

٣٣- أن من اليهود المعاصرين من أقروا بدور الإسلام في حماية اليهود، وأنه له الفضل في إعادة إحياء اليهودية في القرن الثالث عشر على يد الحاخام إبراهيم بن ميمون ابن الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون، عندما رأى أن اليهودية في عصره عانت من حالة من التدهور، ففكر في طريقة لإحياء اليهودية وانتشالها من الحالة المتردية التي عانت منها لقرون عددًا عانت فيها العبادات اليهودية من الجفاء، وافتقدت إلى خطاب الروح، فرأى أنه لا يمكن استعادتها إلا باتباع الممارسات والعبادات الإسلامية المستمدة من متصوفة المسلمين.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر والمراجع العربية:

١- إيبيش، أحمد، التلمود كتاب اليهود المقدس، طبعة دار قتيبة، ٢٠٠٦م.

٢- بوترو، إميل، العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، طبعة الهيئة العامة للكتاب القاهرة، ٢٠١٣.

٣- ترجمة متن التلمود (المشنا)، القسم الرابع نزيقين الأضرار، ترجمة د. مصطفي عبد المعبود، طبعة مكتبة النافذة، القاهرة، ط الأولى، ٢٠٠٧م.

٤- جارودي، روجيه، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، طبعة دار الشروق، ط الرابعة، ٢٠٠٢م.

٥- جنزبرج، لويس، قصص اليهود، ترجمة جمال الرفاعي، طبعة المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، ط الأولى، ٢٠٠٢م.

٦- حسين. ريم رياض، جمعة إبراهيم. باسل، التطرف العرقي وأثره في الحربيين العالميتين النازية أنموذجًا، بحث منشور Journal of Historical and Cultural Studies, Vol.11, No. (2/43), (2020): 192-209

٧- دولوز، جيل، سبينوزا فلسفة عملية، ترجمة عادل حدجامي، ط دار توبقال للنشر، المغرب، ط الأولى ٢٠١٥،م.

٨- ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ودار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، ط الأولى، ١٩٨٨م.

٩- راسل، برتراند، تاريخ الفلسفة الغربية، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م.

١٠- راسل، برتراند، حكمة الغرب، ترجمة د. فؤاد زكريا، ط المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٩م.

١١- زقزوق، محمود حمدي (الدكتور) دراسات في الفلسفة الحديثة، ط دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ط الأولى، ١٩٨٥م.

١٢- زكريا، فؤاد. اسبينوزا، الناشر مؤسسة هندواي، القاهرة، ط الأولى، ٢٠١٨م.

١٣- شلبي، أحمد (الدكتور)، اليهودية، ط مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١٢، ١٩٩٧م.

١٤- صبري، محمد، التلمود شريعة بني إسرائيل، مكتبة مدبولي، ط الأولى، ٢٠١١م.

١٥- عبد الحميد عربي، رجا، سفر التاريخ اليهودي، ط دار الأوائل، سوريا، ط٥، ٢٠١٢م.

١٦- عبد الحميد مصطفى، هويدا، الجماعات اليهودية المتطرفة والاتجاهات السياسية الدينية في إسرائيل، ط مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط الأولى، ٢٠١٠م.

١٧- فورد، هنري، اليهودي العالمي، أعد الطبعة الإنجليزية جيرالد. ك، سميث، ترجمة علي الجوهري، ط دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٨- فيومى، نتنئيل بيرف، بستان العقول، ترجمة سهير دويني، طبعة المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط الأولى، ٢٠١٤م.

١٩- كرم، يوسف (الدكتور)، تاريخ الفلسفة الحديثة، طبعة دار المعارف، القاهرة، ط الخامسة، ١٩٨٦م.

٢٠- كنعان، جورجي، مفهوم الألوهة في الذهن العربي القديم، طبعة بيان للنشر، بيروت – لبنان، ط الثانية، ١٩٩٦م.

٢١- كوبلستون، فريديريك، تاريخ الفلسفة، طبعة المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط الأولى، ٢٠٠٢م.

٢٢- لجنة مؤتمرات كهنة وسط القاهرة، الفكر المسياني في العهد القديم، ط الأولى، ٢٠٠٨م.

٢٣- متولي، حنان كامل، صفد مركز القبالاه النظرية والعملية ما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، حوليات آداب عين شمس،٢٠٠٦، المجلد ٣٤.

٢٤- محمود، زكي نجيب. و أمين، أحمد. قصة الفلسفة اليونانية، طبعة مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط الأولى، ٢٠١٨م.

٢٥- مديرية الدراسات والتوثيق، الإثنيات العرقيات والطوائف في إسرائيل، طبعة مركز باحث للدراسات، لبنان، د.ت.

٢٦- المسكين، متى، تاريخ إسرائيل، مطبعة دير القديس أنبا مقار، مصر، ط٣، ٢٠٠٧م.

٢٧- المسيري، عبد الوهاب، الصهيونية وخيوط العنكبوت، طبعة دار الفكر، دمشق، ط الأولى، ٢٠٠٦م.

٢٨- المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط دار الشروق، القاهرة، (٥/ ٧٢) ط الأولى، ١٩٩٩م.

٢٩- مورال، جون. وصن، تمارا، أشهر ٥٠ خرافة في الأديان، ط مؤسسة هنداوي، القاهرة، ط الأولى، ٢٠١٨م.

٣٠- هتلر، أدولف، كفاحي، ترجمة لويس الحاج، د.ت.

٣١- ولفسون، إسرائيل. موسى بن ميمون حياته ومصنفاته، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط الأولى، ١٩٣٦م.

ثانيًا: المراجع العبرية:

1- לוין. פנחס הכהן. וליברמן, פנחס (עורכים), "דמעות השטן" ילדותנו: ספר לימוד וקריאה לכיתה ו', ירושלים 2017.

٢- אושרי זיגלבוים، אין אנו כשאר העמים.

٣- שמואל פנחס גלברד / אוצר טעמי המנהגים، פתח תקוה תשנ"ו שערא:בריתמילה א.שלומזכר، תת

٤- תגידו לכולם שיש אלוהים: האוניברסליות של העם הנבחר، ו/ ٧/ ٢٠١٤ https://shalem.ac.il/content-channel/universalism-and-/particularism-and-leon-roth

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

1- Bernard Felsenthal, in Teacher in Israel, by Emma Felsenthal, New York, 1924.
2- Charles E. McClelland The German Historians and England: A Study in Nineteenth-century Views. P.189
3- Eisen. Arnold M, The Chosen People In America. A Study in Jewish Religious Ideology. Indiana University Press.1983. P 52.
4- Eisen. Arnold M, The Chosen People In America. P26
5- George Lakoff & Mark Johnson, *Metaphors we Live by*, Chicago 1980.
6- Grant F. Smith. BIG ISRAEL. How Israel's Lobby Moves America? Institute for Research: Middle Eastern. Policy, Inc., Washington, D.C 2016. P25
7- Jacob Neusner & Tzvee Zahavy. The Jerusalem Talmud: A Translation and Commentary. p 769

8- James L. Kugel: The Bible As It Was. Belknap Press/Harvard University Press, 1997

9- Kaplan, Mordecai: Preface to the Second Edition of JUDAISM AS A CIVILIZATION, Published by Thomas Yoseloff, Inc. New York, Thomas Yoseloff, Ltd. London, 1955.

10- Laurent. Guyénot. From Yahweh to Zion: Three Thousand Years of Exile. translated from French by Kevin Barrett. Sifting and Winnowing Books.2018. p 762- 763.

11- Marcus. Jastrow: A Dictionary of the Targumim, Talmud Babli and Talmud Yerushalmi, and the Midrashic literature london, W.C. Luzac.1903

12- Raphael, Falk. Zionism and the Biology of Jews ،Edited, updated translation of Hebrew version הציונות והביולוגיה של Publishing House, 2006. Springer International Publishing AG 2017 היהודים reslng. P. 7

13- Scult, Mel. Communings of the Spirit: The Journals of Mordecai M. Kaplan. Wayne State University Press (May 2002).

14- Sharkansky. Ira: chosen people, promised land, and prophetic tradition. Published 2017 by Routledge 2 Park Square, Milton Park, Abingdon, Oxon OX14 4RN.711 Third Avenue, New York, NY 10017, USA. P15

15- Shoah Resource Center, The International School for Holocaust Studies. P1.

16- Steven Nadler. Why Spinoza Was Excommunicated?: HUMANITIES, September/October 2013, Volume 34.

17- Tanhuma *Vaera* 1, p.9a. See Some are chosen , all are loved. Rabbi Gilbert S. Rosenthal.

18- Voir, article, Allemands et juifs, Abolitionnisme, Paris, Presses universitaires françaises, 1999.

ثالثًا: المواقع الإلكترونية:

1- Are the Jewish People Still the Chosen People? https://free.messianicbible.com/feature/abraham-chosen-people/
2- HERSHEY. DOUG. Why are the Jews God's Chosen People? Biblical teachings on Israel. https://firmisrael.org/learn/why-are-the-jews-gods-chosen-people/
3- Is the Jewish people still the chosen people? https://free.messianicbible.com/feature/abraham-chosen-people/
4- Is the Jewish people still the chosen people? https://free.messianicbible.com/feature/abraham-chosen-people/ تاريخ الزيارة في ٣٠/ ١١/ ٢٠٢١م
5- JC. Article: How should non-Jewish prophets be viewed?, https://www.thejc.com/judaism/all/how-should-non-jewish-prophets-be-viewed-1.55332Website accessed: December5, 2021
6- Jewish Virtual Library. https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-quot-chosen-people-quot.
7- Judaism: The "Chosen People" Jewish Virtual Library. https://www.jewishvirtuallibrary.org/the-quot-chosen-people-quot.
8- LEVY, ZEEV .Spinoza and the Philosophical Impossibility of a Chosen People. https://www.myjewishlearning.com/article/spinoza-and-the-philosophical-impossibility-of-a-chosen-people/
9- Levy, Zeev .Spinoza and the Philosophical Impossibility of a Chosen People.
10- Philmus.Aaron. In the House of Ishmael. https://www.sefaria.org/sheets/26635?lang=bi

11- Rabbi Gilbert S. Rosenthal. Some are chosen , all are loved.
12- Rabbi Gilbert S. Rosenthal. Some are chosen, and they are all loved.https://www.bc.edu/content/dam/files/research_sites/cjl/texts/cjrelations/resources/articles/rosenthal.htm
13- Webster's Dictionary, Merriam Webster . https://www.merriam-webster.com/
١٤- אושרי זיגלבוים، אין אנו כשאר העמים، نحن لسنا مثل الأمم الأخرى، أوشيري زيجلباوم.
١٥- אושרי זיגלבוים، אין אנו כשאר. העמים،
١٦-קונפסיונליזציה וחילון בקהילות הפזורה הספרדית המערבית בעת החדשה منشور على موقع: https://www.academy.ac.il/SystemFiles/21547.pdf تم استرجاعه في ١/ ١٢/ ٢٠٢١
١٧- بلاس، دانيال "דניאל בלס"، (لماذا يجب أن يعاني الأشخاص المختارون أكثر من أي شخص آخر؟ מדוע העם הנבחר צריך לסבול יותר מכולם?) منشور على موقعhttps://www.hidabroot.org/article/71871
تم استرجاعه في ١ ديسمبر ٢٠٢١م.
١٨- لماذا يعود أحفاد ضحايا المحرقة النازية للعيش في ألمانيا؟ منشور على موقع BBC ٢٣/٧/ ٢٠١٩، https://www.bbc.com/arabic/world-49082017
١٩- موقعhttps://www.haaretz.co.il/misc/2006-10-17/ty-article/0000017f-db77-db5a-a57f-db7f5d3a0000 تم استرجاعه في ١/ ١٢/ ٢٠٢١
٢٠- الموقع الرسمي لمركز الشعب المختار على شبكة الانترنت: https://www.chosenpeople.com/our-mission/ministries/ تاريخ الاسترجاع: ٢ ديسمبر ٢٠٢١م.
٢١-موقع: https://www.daat.ac.il/he-il/kehilot/yehudi-olami/madrid.htm
٢٢- موقع: https://www.daat.ac.il/he-il/kehilot/yehudi-olami/madrid.htm، تم استرجاعه في ١ ديسمبر ٢٠٢١م.

Spinoza's Philosophical and Biblical Proofs in Refuting the Jews' Claim that they are God's Chosen People

Dr. Ahmed Al-Badawi Salem Mohamed Salem

Lecturer at the Faculty of Islamic and Arabic Studies in Qalyubia, Al-Azhar University

Abstract

The research aims to study the topic of the chosen people, its concept, its causes, the development of its significance in the books of the Torah and the Talmud and its impact on the formation of the Jewish personality. It also aims at explaining the philosophical and biblical proofs used by philosopher Baruch Spinoza to refute the claim of the Jews that they are God's chosen people, and from which he concluded that God's choice of the Jews is not eternal, and not due to wisdom or moral preference. However, it was a choice related to a social system and external help from God, related to a specific period of time, and to a covenant that God took upon them. This is why when they violated the covenant and the commandments of God, the temporary choice became no longer effective. Therefore they have no preference over other nations. The rational and transmitted proofs cited by Spinoza to refute the Jews' claim that they are God's chosen people are among the reasons that prompted the Jews to take revenge on him, and issue a decree to deny and curse him. Spinoza was marked as the first philosopher in the era of modernity to criticize the tenet of the chosen people among the Jews, and to show that the gift of prophecy was not exclusive to them. He was also a Cartesian philosopher who applied Descartes' philosophy in matters of religion and politics and was the founder of historical criticism of the Bible.

Keywords: Chosen People, God's Chosen People, Spinoza, Jewish Fundamentalism, Jewish Reform, School of Higher Criticism.